كلنا سوريون
سياسية ثقافية نصف شهرية
٢٦/ تشرين الثاني/ ٢٠١٤ | العدد ـ ١٩ ـ السنة الأولى | ١٢ صفحة | newspaper.allsyrians.org

نحاول أن تكون فضاءً إعلاميّاً مفتوحاً على الشأن السوريّ، وتشارك السوريّين حياتهم في بلاد النزوح، ونسعى لأن تكون ساحة لتبادل الرأي وتبادل المعلومة، محاولة جادّة للمساهمة في صناعة إعلام سوريّ جديد وجدّي، يساهم بدوره في صياغة وعي وطنيّ سوريّ جامع، يؤسّس لصياغة الهويّة الوطنيّة الجامعة .

من حلب «دي ميستورا» يطرح مبادرته

ما بين الطائف والطوائف، ضيّعنا الهويّة الوطنيّة

تكليف حكومة وسقوط ائتلاف، الفشل من جديد

كلّنا سوريون ـ عدسة زياد عيسى

الطريق إلى المؤتمر الوطنيّ العامّ لا يمرّ عبر مؤتمرات «الطوائف»

سبَّبَ فشل المعارضة السوريّة في قيادة الثورة السوريّة، وغياب مشروع وطنيّ جامع يلتقي حوله السوريّون، وأمور أخرى كثيرة في زيادة تفتيت البنية الاجتماعيّة السوريّة، هذه البنية الهشّة أساساً والتي لم تتصلّب تاريخيّاً بما يكفي لكي تقاوم الهزّات التي تصيب المجتمعات عادة، ولا يكفي هنا لتفسير هذه الهشاشة أن نتحدّث فقط عن مسؤوليّة النظام طوال ما يقارب خمسة عقود ودوره في تعميق هذه الهشاشة وتكريسها ومحاصرة وسحق كلّ ما يمكن أن يواجهها، إذ لابدّ هنا أيضاً من الرجوع إلى تاريخ سوريّة خلال القرون الماضية، هذا التاريخ الذي لم يُتح للشعب السوريّ أن يرسّخ مرتكزات دولته ضمن هذا الظرف الاستثنائيّ المتمثّل بغياب الدولة بصيغتها الحديثة وحلول عصابة منظّمة مكانها، عصابة تملك كلّ أدوات القمع وتسخّر كلّ إمكانات المجتمع لتعميم هذا القمع، وبغياب كلّ ما يمكن أن يشكّل حصانة لأيّ مجتمع في وجه أزماته، كالمؤسّسات والقانون والجيش، ضمن كلّ هذا انفجرت الثورة السوريّة.

كان الحلم بوطن جديد هو الدافع لإطلاق الشعارات الأولى للثورة السوريّة حول وحدة الوطن والشعب وحول الحريّة والديمقراطيّة وحول كرامة الإنسان، لكنّ العنف الشديد الذي جوبهت به طلائع الثورة السوريّة استطاع أن يزيح هذه الشعارات عن واجهة الثورة ليتقدّم خطابٌ آخر خطاباً كلّنا يعلم من أين يستمدّ مفرداته.

لم تفشل الأحزاب السياسيّة فحسب، بل فشلت النُخب الثقافيّة والاقتصاديّة والدينيّة في إرساء صيغة وطنيّة يمكنها أن تحمي المجتمع السوريّ في أزمة كهذه، كان علينا أن نتعمّق في فهم الدرس العراقيّ جيّداً وأن ندرك أنّ ما ينتظر سوريّة يشابه إلى حدّ كبير ما جرى في العراق، لا بل، أفظع إذا لاحظنا وجود عامل دخول قوّات أجنبيّة في العراق.

يمكن القول الآن، إنّ ما تملكه سوريّة من ركائز إقامة المشروع الوطنيّ يكاد يقارب الصفر، وربّما سيكون الأفجع إنْ قلنا إنّ معيقات هذا المشروع وعقباته قد أصبحت أكبر بكثير من نقاط قوّته.

لعلّ الرافعة الأهمّ التي يجب أن نعمل عليها لقيامة سوريّة هي وعيّ السوريّين بحقيقة المخاطر التي تهدّدهم وتهدّد وطنهم بكلّ وجوهه، يجب أن تلعب النُخب الثقافيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والدينيّة دوراً مهمّاً في صياغة هذا المشروع الوطنيّ الجامع، مشروع يعيد تشبيك ما تهتّك من النسيج الاجتماعيّ السوريّ، ويعيد ثقة السوريّين بالدولة الواحدة الديمقراطيّة.

من هذا المنظور تبدو المؤتمرات التي تمثّل مكوّنات المجتمع السوريّ (طائفيّاً) هي مؤتمرات في السياق الخاطئ بغضّ النظر عن نوايا أفرادها، هذه المؤتمرات التي يُسوَّق لها على أنّها مقدّمة لمؤتمر وطنيّ عامّ، لكنّه من السهولة القول إنّ الوصول للمؤتمر الوطنيّ العامّ لا يتطلّب أبداً المرور عبر هذه المؤتمرات، وأنّ التحضير لمؤتمر وطنيّ عامّ يتطلّب صياغة مشروع وطنيّ وليس صياغة تمثيلات طائفيّة.

لعلّه من الإجحاف الكبير أن نصنّف مؤتمر «كلّنا سوريّون» الذي عُقد في القاهرة في آذار ٢٠١٣ ضمن هذه المؤتمرات لسببين رئيسيّين:

أوّلاً – مَن حضروا هذا المؤتمر كانوا يمثّلون كلّ المعارضة السوريّة يومها وليس معارضي طائفة ما.

ثانياً – كان هدف هذا المؤتمر هو منع الوصول لهذه الصيغة من المؤتمرات عبر إلغاء ربط طائفة ما بالنظام، هذا الربط الذي عمل عليه النظام لتكريس صورة الحرب الأهليّة في الثورة السوريّة، ولوضع مكوّنات المجتمع السوريّ في حالة حرب فيما بينها، وبالتالي كان هدف المؤتمر الأساسيّ هو إعادة وضع النسيج السوريّ كلّه في مواجهة النظام، ولا يخفى على أحد من السوريّين وغير السوريّين النتائج الكارثيّة التي ترتّبت عن فشل هذه المحاولة وبقاء مكوّنات المجتمع السوريّ رهينة مشاريع الآخرين وليست رهينة المشروع الوطنيّ.

إنّنا بأمسّ الحاجة لمؤتمر وطنيّ عامّ يلتقي فيه السوريّون ونخبهم على مشروع وطنيّ يعيد انتماء السوريّين إلى وطنهم أوّلاً، انتماءً يُعيد غيره من الانتماءات إلى مراتب متأخّرة.

أخيراً، إنّ الوصول إلى المؤتمر العامّ عبر المؤتمرات الطائفيّة هو تأسيس لمحاكاة الصيغة اللبنانيّة وهذا مايجب أن يقف كلّ السوريّين ضدّه.

بسّام يوسف

تحقيقات العدد

- الجنود الأطفال في سورية ص٦
- في الخيام وتحت القصف ص٦
- طلّاب سوريّون في بلاد اللجوء ص٧
- ضحايا الأسعار، إنْ وجد الدواء! ص٧

تحدّيات النموّ الاقتصاديّ في المستقبل

ص ٨

إنّ بلوغ هذا التحوّل يتطلّب النجاح في عدّة أمور منها:
أ_تسوية النزاع الداخليّ واستعادة الأمن والاستقرار والتقدّم في عمليّة إعادة التأهيل والتنمية الشاملة وبخاصّة إصلاح البنى التحتيّة وتحديث الهياكل الاقتصاديّة والإفادة من آخر التطبيقات والمبتكرات العلميّة والتقنيّة الحديثة.

د. محمّد حاج بكري

كسر «التابوهات» الثلاثة

ص ٩

انتشرت ظاهرة المساكنة (كمثال عن التحرّر الجنسيّ) بين السوريّين القاطنين في تركيا. والأمر يكاد ينطبق على السوريّين المنتشرين في أنحاء أوروبا، سواء كانت المساكنة تحدث بين سوريَّين اثنين، أو بين سوريّ وآخر غير سوريّ، ومن المهمّ الإشارة إلى أمور عديدة ساعدت في انتشار هذه الظاهرة

ريم الحاج

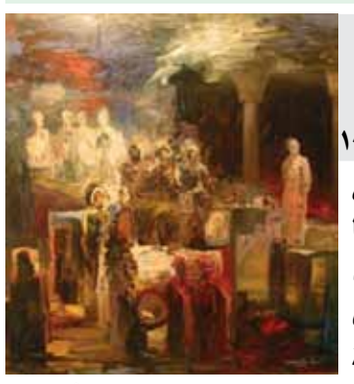

السُلطة: بين الضرورة والحاجة الاجتماعيّة

ص ١٠

المشكلة الأساسيّة في السلطة هي الاعتراف بما تقوم به من حقّ وواجب عند طرفيها، فإذا كان الاعتراف متبادلاً وتامّاً استقامت السلطة كعلاقة أمريّة مشروعة

عبدو نبي

المبادرات الدوليّة في صيغتها الجديدة

ص ٢

استباحة جعلت من سوريّة ساحة لكلّ فنون الإرهاب، كما دفعت وتدفع بملايين السوريّين للهروب خوفاً من الموت، محوّلة سوريّة التي لم تعرف الإرهاب سابقاً، إلى مركز جذب عالميّ لكلّ إرهابيّي العالم، حتّى أضحت مسرحاً لأكثر من ثلاثة آلاف أوربّيّ مهووس بقطع الرؤوس البشريّة، ولعشرات الآلاف من المتطرّفين الشيشانيّين والتونسيّين والجنسيّات الأخرى.

لؤي حاج بكري

بين جحيم دانتي وجنّة داعش

ص ٣

جحيمُ السوريّين ابتدأ منذ عقود خمسة ماضية بتولّي الأسد وطغمته المجرمة مقاليد السلطة، لكنّهم بثورتهم وانتفاضتهم ضدّ الظلم والاستبداد الأسود كانوا على موعد مع جحيم آخر على غرار جحيم دانتي الذي مثّلته لوحة «بوتشيلّي»، فهم يدركون منذ اليوم الأوّل للثورة بأنّ المواجهة لن تكون هيّنة أو مأمونة العواقب

مصطفى الجرادي

إعلان سورية

ص ٤

الثّورة السوريّة التي أعادتِ الرّوحَ إلى الشَّعب السوريِّ، هي أهمُّ حدثٍ في تاريخ سورية المعاصر، قام بها شعبٌ عظيمٌ أدهش العالمَ كلّه، لاسترجاع وعيه وإرادته وثقته بنفسه، والتحوّل إلى ذاتٍ حاضرةٍ وفاعلةٍ بعد عقودٍ من إقصائه وتهميشه.

فمنذ انطلاقتها شرع السوريّون بالتعرّف على بعضهم بعضاً من دون حواجز، وصاروا يتواصلون ويتفاعلون مُنهين حقبةً طويلةً من الانعزال والجهل ببعضهم، وأخذوا يتبادلون معاناتهم وآلامهم، ويستردّون ذواتهم التي بدَّدها القمع والاستبداد.

كلّنا سوريون

المبادرات الدوليّة في صيغتها الجديدة

كلنا إنّ ما يجري، لا يشير إلّا إلى وقوع المزيد من المناطق تحت رحمة السيف الإرهابيّ، عبر تنظيمي «داعش» و «النصرة».

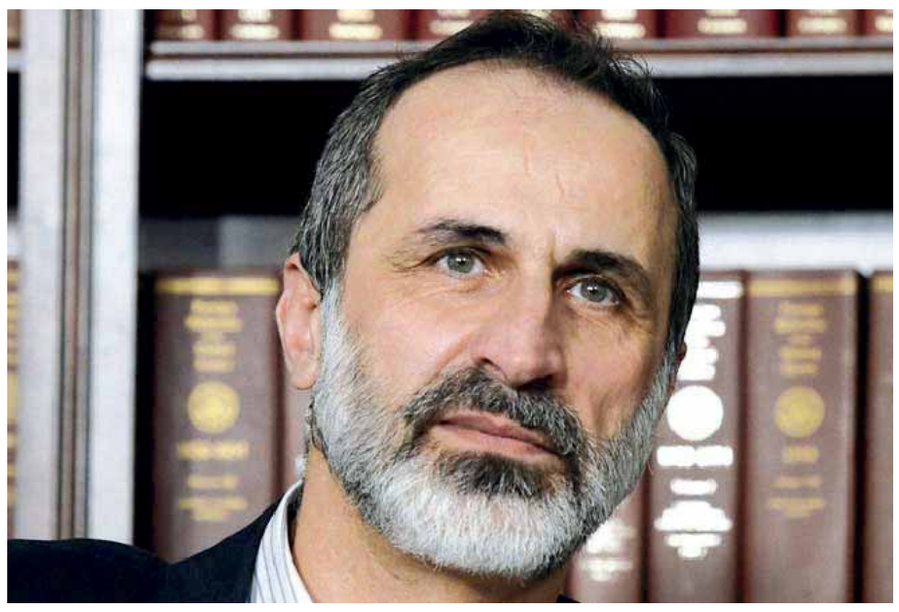

مع اقتراب ثورة الغضب الشعبيّ السوريّ من عامها الرابع، لم يغيّر النظام في دمشق من خياراته، باستخدام كلّ أشكال العنف لإنهائها، وبالإصرار المستمرّ لخلق صراعٍ اجتماعيٍ دامٍ، بين مختلف مكوّنات المجتمع، حفاظاً على السلطة المطلقة لحاكمه الفرد، ممّا جعل من تلك الخيارات سبباً رئيساً في تحويل البلاد نحو ساحة للإرهاب العالميّ، جاذبة لكلّ تلك العناصر الإرهابيّة في معظم التجمّعات البشريّة، التي يُقدّر عددها حتّى الآن بأربعة وثمانين بلداً، وممّا قد يجعل من كافّة الحلول والمبادرات السياسيّة المعلنة مجرّد فقاعات، تتلاشى بُعيد إطلاقها، وقبل استكمال عمليّة تفسيرها، لتظهر كنوع من حراك مبدعيها الذاتيّ، أو كنوع من إشعار الآخرين بوجودهم، مع الفصول الجديدة في دراما العصر السوريّة، المتمثّلة في السيطرة المتزايدة لقوى الإسلام المتطرّف، وتراجع قوى الثورة عن المناطق التي تمّ تحريرها من قبضة النظام، وفقدان النظام للعديد من مناطق ومراكز انتشار قوّاته.

قد يكون الفشل الذي أصاب مؤتمر جنيف٢، نتيجة للاختلاف الدوليّ في الوصول إلى حلّ توافقيّ حول صيغة جنيف١، السبب الرئيسيّ من أسباب الغياب اللاحق لحلّ سياسيّ، في حين أنّ التطوّرات المأساويّة التي أعقبت ذلك المؤتمر، تعتبر سبباً كافياً لتكثيف الجهود، لكن ما يُطرح اليوم من مبادرات وخطط سياسيّة، بعيدة عمّا تمّ بحثه في مؤتمرات جنيف، لا يدلّل إلّا على الرؤى الفرديّة لأصحابها، فالمبادرة الروسيّة الأخيرة، التي يحلو للبعض رؤيتها كمقدّمة لموسكو١ أو لجنيف٣، والمستندة إلى فكرة تشكيل حكومة من النظام وبعض أطياف المعارضة، دون أيّة إضافات أخرى تتعلّق ببنية النظام القائم، ممّا دفع بلاعبها الأساسيّ الشيخ الخطيب، ليعلن براءته من التفسيرات التي حملتها المبادرة، في الإبقاء على الأسد الذي تلطّخت يداه بدماء السوريّين، كذلك فإنّ خطّة المبعوث الدوليّ «دي ميستورا» المنطلقة من انسداد آفاق الحلّ السياسيّ، طارحة البدء بتجميد الصراع انطلاقاً من مدينة حلب، عبر اتّفاقات وقف للنار، وصولاً لتحقيق مصالحات، وتوسيع الإدارات المحلّيّة كشكل لامركزيّ، قبل إجراء انتخابات محلّيّة وبرلمانيّة تلغي النظام السابق، لم ترتقِ في هذا الطرح، كما هو واضح، حتّى إلى مستوى القبول الأوّليّ، ناهيك عن غياب أيّ مؤشّرات لتخلّي النظام عن خياراته في القتل والتدمير.

بالمقابل، فإنّ ما يجري، لا يشير إلّا إلى وقوع المزيد من المناطق تحت رحمة السيف الإرهابيّ، عبر تنظيمي «داعش» و «النصرة»، بالرغم من الضربات الجوّيّة الواقعة عليهما من قبل التحالف الدوليّ، حيث تحوّلت المعارك في عين العرب (كوباني) إلى مسألة تأكيد «داعشيّ» على البقاء والتمدّد، فيما تُحكم «النصرة» سيطرتها المطلقة على مواقع هامّة للمعارضة المسلّحة السوريّة في إدلب وحماة، بإخراج «جيش المجاهدين» و «حركة حزم» بينما تشهد مناطق القلمون وريف دمشق تحرّكاً ملحوظاً لتلك القوى المتطرّفة، مع الأحاديث الواردة عن الرفض الشعبيّ لـ «جيش الإسلام» في معقله الأساسيّ بدوما، في حين تتواصل عمليّات التقدّم على قوّات النظام جنوباً في القنيطرة ودرعا، مشيرة إلى مشاركة واسعة من قبل «النصرة» مع تلك الوقائع لا يمكن ملاحظة أيّ تقدّم مهمّ للنظام، الذي بات يعاني كذلك، من حالات مختلفة من الردود السلبيّة في صفوف المؤيّدين، بعد عمليّات الذبح المصوّرة لضباطه من قبل «الداعشيّين» بينما لا تشير الحرب التي أعلنها التحالف الدوليّ بقيادة الولايات المتّحدة، إلى أيّ خروج عن إطار الضربات الجوّيّة المتقطّعة لمواقع محدّدة، برغم التصريحات الصاخبة للرئيس الأمريكيّ مؤخّراً، في ربطه بين إزاحة الأسد وهزيمة «داعش» التي سارع لتهدئتها عبر التصريحات اللاحقة المتمثّلة باعتبار التعاون معه لتحقيق ذلك إضعافاً للتحالف.

في الإشارة إلى تلك التحوّلات، كتحوّلات من ثورة شعب ضدّ المستبدّ المهيمن على كلّ مقدّرات البلاد، إلى وطن مستباح بآلات الموت والدمار المختلفة، من قبل جند النظام والميليشيات التي استقدمها من الأوساط الشيعيّة الإقليميّة، كما من المتنطّعين لحمايته من وافدين وأمراء حروب محليّين، استباحة جعلت منه ساحة لكلّ فنون الإرهاب، كما دفعت وتدفع بملايين السوريّين للهروب خوفاً من الموت، محوّلة سوريّة التي لم تعرف الإرهاب سابقاً، إلى مركز جذب عالميّ لكلّ إرهابيّي العالم، حتّى أضحت مسرحاً لأكثر من ثلاثة آلاف أوربّيّ مهووس بقطع الرؤوس البشريّة، ولعشرات الآلاف من المتطرّفين الشيشانيّين والتونسيّين والجنسيّات الأخرى.

في الحديث عن الإرهاب، الذي شكّل الورقة الأساسيّة للنظام، ملوّحاً بها حتّى قبل وقوعه، ربّما يمكن القول بأنّ ثمّة ما هو جدير بالتوقّف عنده، بعيداً عن المماحكات في الأسباب والنتائج، سواء أكان ذلك النظام مسبّباً له أو مستشعراً به، ولابدّ من البحث عن المَخرج من تلك المتاهة التي فُرضت على كلّ السوريّين، مَخرج قد لا يتمّ العثور عليه من خلال تلك المبادرات الخارجيّة المتلاحقة، التي تثير التساؤل بعد كلّ ذلك الانتشار الواسع للأعمال الإرهابيّة، حول إمكانيّة التوصّل إلى حلّ مناسب، مالم يتضمّن البدء بإقامة دولة جديدة قادرة على دحر كلّ الإرهابيّين، من «دواعش» وميليشيات شيعيّة ومجرمين سوريّين، أم أنّ تلك المبادرات ليست أكثر من محاولات محكومة بالفشل، مع تعاظم الخطر الطاغي على المنطقة، والمتمثّل في «الإسلام القاعديّ الجديد» الذي اتّخذ من سوريّة والعراق مركزاً له، والساعي للتمدّد في ولايات متناثرة كما في سيناء وليبيا.

لؤي حاج بكري

ما العمل؟

كلنا يصرخ أعضاء الائتلاف بأنّ المجتمع الدوليّ هو المسؤول لأنّه لم يقدّم الدعم الكافي، ولم يعمل على إسقاط النظام.

-١-

أصبح من المألوف، والشائع، الأحاديث النقديّة التي تدور حول «الائتلاف الوطنيّ» الذي يدّعي تمثيل الثورة السوريّة والمعارضة، ويحتكر هذا التمثيل، وفشل هذا الائتلاف بأن يكون قائداً سياسيّاً للثورة. وبالتالي عجزه عن مواجهة استحقاقات الثورة، التي أفرزها الصراع الطويل مع نظام الطاغية، والمستمرّ حتّى الآن.

هذه الاستحقاقات تتمثّل أوّلاً، في التمثيل السياسيّ للثورة. فالائتلاف وقبله المجلس الوطنيّ منذ تشكّله وزّع الأوهام حول السقوط السريع للنظام، بفعل دعواته عبر الفضائيّات، لأمريكا والغرب للتدخّل العسكريّ على الطريقة الليبيّة. وبعد أن وضع قَدَر الثورة وأوراقها على موائد الحاضنة الأوّليّة العربيّة، وخاصّة «السعوديّة وقطر» بالإضافة إلى تركيا، استراح ليلتفت إلى تشكيل نفسه، وانشغل بصراعاته الداخليّة على المواقع والمناصب داخل الائتلاف بما يؤشّر للجوع التاريخيّ لامتلاك السلطة والتسلّط. كما حصل عبر مسيرته وانتقاله من المجلس الوطنيّ، إلى الائتلاف، ثمّ توسعة الائتلاف، ثمّ تشكيل الحكومة المؤقّتة، التي لم تشكّل سوى مستنقع جديد لمؤسّسات الثورة الجديدة. وأيضاً كما حصل في الشهور الثلاثة الماضية وانشغاله بانتخاب رئيس الائتلاف، ورئيس الحكومة المؤقّتة، والمجلس العسكريّ. وهو يجهّز نفسه منذ الآن لثلاثة أشهر جديدة، وانتخابات جديدة، وهكذا. بمعنى آخر لم يكن في برنامجه أن يعمل بالسياسة، التي تعني إدارة شؤون الثورة والشعب على كافّة الأصعدة السياسيّة والعسكريّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة.

-٢-

لم تتوقّف هذه الانتقادات عند عموم الشعب السوريّ، إنّما التقطها أعضاء الائتلاف أنفسهم ليواجهوا بها منتقديهم في أيّ لقاء يجمعهم مع الناشطين والذين يدعون أيضاً اهتمامهم بشؤون الثورة والمجتمع، وهم يتحدّثون عن غياب السياسة في الائتلاف، وفقدانهم للقرار الوطنيّ المستقلّ، والشرذمة عند الكتائب المسلّحة، والفساد الذي أصبح ظاهرة طبيعيّة في دهاليز الائتلاف والحكومة، وعدم قدرتهم على إدارة المناطق المحرّرة، وهجرة الملايين من الشعب نحو مخيّمات الدول المجاورة، ليس بسبب قصف النظام بالصواريخ والبراميل المتفجّرة فقط، إنّما لانعدام الأمن والأمان في هذه المناطق، وعدم تأمين الضروريّات الأساسيّة للحياة.

وحين ينتقل الحديث عن المسؤولية تجاه هذا الفشل، يصرخ أعضاء الائتلاف بأنّ المجتمع الدوليّ هو المسؤول لأنّه لم يقدّم الدعم الكافي، ولم يعمل على إسقاط النظام. ويتجرّأ آخر ويصف أغلبيّة أعضاء الائتلاف باللامسؤوليّة إلى حدّ نزع الصفة الوطنيّة عن غالبيّتهم. ويعزو عضو ثالث هذا الفشل إلى التكتّلات السياسيّة داخل الائتلاف المرتهنة إلى قطر، أو السعوديّة، أو أمريكا، وانعكاس صراع هذه الدول على مسيرة الائتلاف. ويضيف رابع لكي ينهي النقاش، بأنّنا جميعاً مسؤولون عن هذا الفشل. وهي محاولة مكشوفة للتعمية، وتبديد المسؤوليّة ونثرها على رؤوس الجميع. بحيث يمكن القول إنّ الشعب هو المسؤول عن نتائج ثورته، والشهداء مسؤولون عن استشهادهم، والأطفال مسؤولون عن تشرّدهم. لكي يهرب من الاعتراف بأنّ الائتلاف الذي يحتكر تمثيل الثورة، ويتسوّل الأموال باسمها، لكي ينفقها على رفاهيّته، وتجواله في فنادق العالم، هو المسؤول الأوّل عن هذا الفشل في إسقاط النظام حتّى الآن.

-٣-

يستمرّ الحوار إلى أن يصل إلى السؤال الهامّ: ما هو الحلّ؟ ما هو المخرج من المأزق الراهن المظلم؟ لقد وزّع رئيس الائتلاف الجديد «البحرة» في لقائه مع النشطاء في غازي عنتاب تفاؤله بالدورة الجديدة، وأنّ لديه الخطط الاستراتيجيّة الجديدة لإخراج الائتلاف من غيبوبته ومشاكله وفساده، إلخ. والتأسيس لقيادة سياسيّة، وجيش وطنيّ، وكذلك انتقال الحكومة المؤقّتة للداخل. بعد انتقاده لآليّات العهد القديم، وبطريقة لا تختلف عن خطاب مدير عامّ جديد في إحدى مؤسّسات الدولة التي نعرفها جيّداً. وبالتالي كلّ المؤشّرات تشير إلى أنّ أيّ إصلاح حقيقيّ للائتلاف لن يحدث.

بالمقابل، الدعوة لإسقاط الائتلاف، ليس هو الحلّ لأنّه الوحيد المعترف به عربيّاً ودوليّاً، وبالتالي يجب أن يبقى حتّى لا تصبح الثورة يتيمة!. دون التطرّق إلى أهمّيّة أن يكون الائتلاف معترفاً به من قبل الشعب السوريّ المشرّد في الداخل والخارج. لأنّ الخارج بنظرهم هو الأهمّ. وهو صاحب النعمة الذي يدفع لهم مرتّباتهم، والداخل أصبح بيد الجهاديّين الإرهابيّين من جهة، والنظام من جهة ثانية. وبالتالي هم جادّون بالعمل مع تركيا خاصّة، من أجل توفير منطقة آمنة بالداخل، حتّى ينقلوا إليها فنادقهم، وخاصّة بعد حصول العديد منهم على الجنسيّة التركيّة.

-٤-

ببساطة، الائتلاف بالرغم من انعدام أهمّيّته السياسيّة عند الشعب، وحتّى عند «أصدقاء سورية» إلّا أنّه مستمرّ فوق رؤوسنا، لعدم وجود البديل. فهذا قَدَرنا، وهذه بضاعتنا، أو هذا ما أفرزه مجتمعنا خلال السنوات الثلاث من عمر الثورة. لكنّ المرحلة الراهنة خطيرة ومظلمة في تاريخ الثورة السوريّة والتي يمكن تسميتها «عصر الإرهاب» إشارة إلى الصراعات الفعليّة على الأرض، وهي صراعات بين مكوّنات إرهابيّة، عناصرها الأساسيّة، النظام السوريّ والعراقيّ وميليشياتهم الطائفيّة، والجهاديّين، وبرعاية التحالف الدوليّ الذي يعمل على إدارة هذه الصراعات وتعميقها، واستمرارها لسنوات طويلة، لصالح هذه الأنظمة، ودون أن يكون للائتلاف أيّ دور فعليّ فيها، وهو خارج الساحة نهائيّاً.

والسؤال الهامّ: ما العمل؟ للخروج من المرحلة المستنقعيّة التي تمرّ بها الثورة؟

لاشكّ بأنّ صعوبة الإجابة تكمن في الحاجة إلى عقل سياسيّ جديد، قادر على الاستجابة والعمل على إعادة السياسة إلى الثورة السوريّة، وإعادة خطاب الثورة الوطنيّة السوريّة إلى الواجهة بعد أن أزاحته جانباً الأعلام السوداء، لكنّ هذا العقل لن يهبط علينا من السماء، أو يمكن أن ننتجه من العدم، وبذلك تبقى المراهنة على أنّ هذا الواقع هو الذي سيفرز هذا الجديد.

والمراهنة على مخاض الثورة المستمرّ، والذي لن يوقفه تسلّط الائتلاف الراهن، أو مستنقع الحكومة المؤقّتة. وكلّ مرحلة مستنقعيّة، تفرز مخاضاً جديداً للخروج منه، مقدّمته الأساسيّة الإجابات المتعدّدة على السؤال الهامّ: ما العمل؟ تنتجها ورشات عمل حقيقيّة جدّيّة، وليست خطابيّة فندقيّة، وتستند إلى قراءة واقعيّة للأسباب التي أدّت إلى خروج الديمقراطيّين الوطنيّين من ساحة الثورة، والفشل في فرز قيادة سياسيّة للثورة، والتأسيس لجيش وطنيّ ثوريّ، بعد تحوّلها إلى ثورة مسلّحة. وهذا بحاجة إلى جهود جماعيّة، والمهم أن تبدأ، حتّى لو كانت البداية متأخّرة جدّاً.

ويبدو أنّ المرحلة المقبلة تحمل ارهاصات أوّليّة لإعادة البناء. مصادرها أوّلاً: من الائتلاف نفسه، الذي سيفرز مكوّناته الوطنيّة الديمقراطيّة، عبر تكتّلات جديدة قد تفصح عن نفسها في الأشهر المقبلة. وثانياً: أن تتحسّس المنظّمات أو الأحزاب التي تشكّلت حديثاً، المسؤوليّة الوطنيّة، وتنتقل من دكاكينها الصغيرة، نحو رؤية سياسيّة جديدة للتحالفات، وخاصّة أنّها تطرح نفس البرنامج الوطنيّ، الذي يهدف إلى بناء الدولة الوطنيّة المدنيّة الديمقراطيّة لكلّ السوريّين. وثالثاً: انتقال الأفراد المستقلّين من الحالة الفرديّة، والانتظام في مجموعات، أو خلايا منظّمة، للانتقال من النقد والتوصيف إلى العمل، أو الانتقال من الادّعاء بالانضمام للثورة، إلى الفعل السياسيّ الوطنيّ، والذي لا يكون كذلك إلّا بالعمل المنظّم المشترك.

وعندما ترى النور نتائج هذه الإرهاصات، تصبح الأرض ممهّدة فعليّاً، للدعوة إلى مؤتمر وطنيّ شامل لكلّ القوى الوطنيّة الديمقراطيّة، حتّى ينتج قيادة سياسيّة جبهويّة للثورة، ولتكن على طريقة المقاومة الفلسطينيّة التي اختبرها ويعرفها كلّ السوريّين، أو أيّ شكل جبهويّ جديد، بالإضافة إلى جسد تنظيميّ على الأرض، يحمل ويدافع عن خطاب الثورة السياسيّ، إلى جانب الجيش الوطنيّ الثوريّ الذي سيكون عندئذ قادراً على تحرير سورية بالكامل من تسلّط الطاغية.

وإنْ لم يحصل إنقاذ للثورة من مرحلة الإرهاب الراهنة، فإنّ التاريخ سيكتب بالقلم العريض عجز الطبقة السياسيّة الراهنة، إلى حدود الخيانة، التي يمقتها الجميع.

مروان عبد الرزّاق

بين جحيم دانتي وجنّة داعش

لم يـدُر في خَلَدِ «دانتي أليغييري» صاحب «الكوميديا الإلهيّة» والتي تُعتبر أبرز الأعمال الأدبيّة على المستوى العالميّ والتي تنقسم إلى ثلاثة أجزاء: الجحيم (انفيرنو)، المطهر، والجنّة، جحيم دانتي ورؤيته الدنيويّة لها تركت أثراً بالغاً في كلّ الأعمال الإبداعيّة وفي شتّى المجالات، وكانت بصمته واضحة على جلّ المبدعين الذين عرفهم العالم سواء من الذين عاصروه أو تلوه لاحقاً، بل حتّى مبدعي العصور الحديثة تأثّروا به بشكل أو بآخر.

لكن بالرغم من كلّ هذا لم يكن يتصوّر دانتي أنّ أفراداً أو جماعات تستطيع منافسته في تقديم تجسيد واقعيّ للجحيم بكلّ معانيه وأحواله. لذا مَنْ أفضل من «داعش» ومجاهديها الذين اجتهدوا لإحالة الجحيم الأُخْرَويّ إلى جحيم دنيويّ يُعاش يوميّاً ويصبح واقعاً ملموساً لا مخيالاً يبقى حبيس الأذهان والعقول، كان الرسام الإيطاليّ الشهير «ساندرو بوتشيلّي» الشديد التأثّر بدانتي أبرع من قدّم مقاربة دقيقة لوصف الجحيم المفزع الذي عبّر عنه دانتي بلوحته الشهيرة «لامابا ديل إنفيرنو»، فصوّرت اللوحة الجحيم على شكل قمع تحت الأرض وأبرزته على شكل مشهد مخيف من النار والكبريت ومياه الصرف الصحيّ إضافة للشيطان المنتظِر في مركز القمع، وبحسب لوحة «بوتشيلّي» فقد كانت مستويات الجحيم عبارة عن حلقات تسع يُعاقب فيه الخطأة والمذنبون بحسب مقدار الخطيئة المرتكبة.

جحيمُ السوريّين ابتدأ منذ عقود خمسة ماضية بتولّي الأسد وطغمته المجرمة مقاليد السلطة، لكنّهم بثورتهم وانتفاضتهم ضدّ الظلم والاستبداد الأسود كانوا على موعد مع جحيم آخر على غرار جحيم دانتي الذي مثّلته لوحة «بوتشيلّي»، فهم يدركون منذ اليوم الأوّل للثورة بأنّ المواجهة لن تكون هيّنة أو مأمونة العواقب ،فالسوريّون الذين رغبوا بالانعتاق والتحرّر من نظام سامَهم صنوفاً متلوّنة ومتعدّدة من العذاب ورغبوا باسترداد حقوقهم الإنسانيّة الأساسيّة متمثّلة بشعارات الحرّيّة والكرامة والمساواة التي صدحوا بها عالياً في مظاهراتهم، كانت كفيلة بأن يفتح النظام المجرم أبواب جحيمه المخبوءة وقرّر تخييرهم بين بقائه أو جعل البلاد جحيماً حقيقيّاً يفرّ منه البشر، متواليات العذاب هذه التي قاساها السوريّون من هذا النظام - بكلّ أنواع الأسلحة - تكاد تكون مطابقة لحلقات الجحيم التي مرّ بها دانتي.

كلّ ما فعله هذا النظام في مواجهة شعب صمد أمام همجيّته المتواصلة تجاه شعب لا حول له أو قوّة لم يثنِه عن المباشرة في جعل الرواية التي تشدّق بها إعلامه عن وجود قوى إرهاب تكفيريّة تريد إنهاء الدولة الحديثة العلمانيّة - على حدّ زعمه - فقام بإخراج السجناء المعروفين بخطابهم الدينيّ المتشدّد وانتمائهم وتبعيّتهم لتنظيم القاعدة، وساهم بشكل أو بآخر بالتغاضي عن دخول الجهاديّين التكفيريّين الذين سيساهمون بجعل

روايته المكذوبة إلى حقيقة بيّنة لا لبس فيها، وكان ذلك مع ولادة «جبهة النصرة» الذي بايع الظواهريّ، ولاحقاً تلاه ولادة ما يُسمّى بدولة العراق والشام الإسلاميّة «داعش» الذي صار التنظيم الأخطر عالميّاً وبات حديث القاصي والداني في العالم كلّه.

كان هذا الفعل الخبيث بمثابة إخراج الشيطان الذي يتمركز في قعر جحيم دانتي كما توضّحه لوحة «بوتشيلّي»، فهؤلاء المجاهدون ذوي اللحى الطويلة والملابس القصيرة والذين قدموا - بحسب المزاعم المتواترة - لنصرة المستضعفين في بلاد الشام الطاهرة المقدّسة، وكانت الأدبيّات الجهاديّة

التي اعتمدها «داعش» ونظرائه هو الظفر بالجنّة والفوز بها من خلال الجهاد في عتبات الشام المباركة ضدّ النظام «النصيريّ» الكافر الذي أمعن في قتل المسلمين وأسرف في تعذيبهم، لكنّهم كانوا أشبه بشياطين خارجة من أتون الجحيم، بدؤوا بالتغلغل في المناطق المحرّرة التي خرجت من قبضة الأسد وعصابته، فانتشرت حفلات قطع الرؤوس وتعليقها في الساحات العامّة وقاموا بفرض شروطهم الخاصّة على الناس. وبدأت عمليّة قتال الثّوار وغُيّب نشطاء الثورة الأوائل في غياهب السجون وأُزيلت الرايات الكافرة (أعلام الثورة) من ساحات المدن وشوارعها، وبدأ المتطرّفون يتوافدون من كلّ حدب وصوب إلى جنّة «داعش» التي تبشّر بها فمن مات فله الجنّة، ومن بقي فهو ينافح عن دولة الإسلام ويذود عنها، هذه الجنّة التي تعد بها «داعش» أتباعها وتهلّل، ما هي إلّا جحيم مؤجّل وسوء عاقبة لكلّ من والاها وناصرها لأنّهم قتلوا الأبرياء ونكّلوا بهم وأحالوا أيّام السوريّين إلى ليالٍ سوداء مدلهمّة لا فرح فيها ولا حبور.

صحيح أنّ السوريّين عندما ثاروا دخلوا أبواب الجحيم بأرجلهم كما في رحلة دانتي، لأنّ نظاماً مجرماً كنظام الأسد لم يتورّع عن فتح أبواب الجحيم المغلقة واستجلب كلّ شياطين الجحيم في سبيل إطالة حكمه وديمومة بقائه، لكنّ السوريّين الذين عبروا طبقات الجحيم بمستوياتها

وطبقاتها المتعدّدة سيصلون مثلما وصل دانتي إلى «المطهر» إلى فردوس الإيمان على الأرض، يمرُّ السوريّون بالجحيم للوصول إلى جنّتهم بالخلاص من هذا النظام الإجراميّ وقطع كلّ الصلات معه، وتكون بالخلاص أيضاً من جنّة «داعش» الموعودة ومجاهديها الذين سيلاقون سعيراً يقاسون حرّها

وعذاباتها جزاء ما اقترفت أيديهم من قباحات ومنكَرات.

مصطفى الجرادي

مقترح دي ميستورا يقلقني

كثُر الحديث في الآونة الأخيرة عن المقترح الذي تقدّم به المبعوث الأمميّ السيّد «ستافان دي ميستورا» بتاريخ ٢٠١٤/١٠/٣٠ بخصوص إقامة ما سمّاه «بالمنطقة المجمّدة» في سوريّة ليتمّ تعليق النزاع فيها والسماح بإيصال المساعدات الإنسانيّة إليها، واعتبر «دي مستورا» أنّ مدينة حلب المقسّمة قد تكون مرشّحة بشكل جيّد لتجميد النزاع فيها.

مقترح قد يبعث للوهلة الأولى الطمأنينة في نفوس أغلب السوريّين الذين أنهكتهم الدماء والدموع على مدى ثلاث سنوات ونيّف، إلّا أنّ بعض التمعّن في هذا المقترح يرسم حوله هالة من إشارات الاستفهام، إذ لم يحدّد السيّد «دي ميستورا» مفهوم وماهيّة هذه المنطقة، سيّما وأنّ هذا المصطلح يُستخدم - وعلى حدّ علمي - لأوّل مرّة في القانون الدوليّ، ثمّ لماذا لم يتمّ استخدام المصطلح المتعارف عليه في القانون الدوليّ؟ وهو مصطلح المنطقة منزوعة السلاح الوارد في «البروتوكول» الأوّل لعام ١٩٧٧ الملحق باتفاقيّات جنيف لعام ١٩٤٩ والذي يعني إجلاء جميع المقاتلين والأسلحة المتحرّكة من تلك المنطقة، وعدم القيام بأيّ نشاط يتّصل بالمجهود الحربيّ، وهذا المصطلح لا لبس فيه.

إلّا أنّ المصطلح الجديد «المنطقة المجمّدة» والذي تمّ اختراعه حديثاً من قبل السيّد «دي ميستورا»، يعني لغة إبقاء الحال على ما هو عليه، وبالتالي عدم إجلاء المقاتلين وعدم نزع الأسلحة الموجودة في تلك المنطقة، وعليه ستكون تلك المنطقة ملاذاً آمناً للمدنيّين إن تمّت مراقبة المنطقة وحمايتها دوليّاً بشكل جدّي، إلّا أنّني أرى أنّ تلك المنطقة ستكون ناراً تحت الرماد، إن تمّ خرق الهدنة من قبل أيّ من طرفي النزاع، أو تهاونت القوّة الدوليّة في حمايتها.

لذلك يتوجّب على الفصائل المعارضة والهيئات السياسيّة الفاعلة، وقبل القبول بالمقترح المذكور، الاستفسار من صاحب المبادرة عن مقصده من «المنطقة المجمّدة»، وما هي الأسس التي ستقوم عليها؟ وكيف ستتمّ حمايتها والإشراف عليها؟ ومن قِبل مَنْ؟ سيّما وأنّ نظام الأسد مشهود له بنكث العهود، والغدر بالخصم، وخرق القوانين والقرارات الدوليّة وبمباركة - سواء سريّة أو علنيّة - من قبل بعض القوى الإقليميّة والدوليّة، فكم من مرّة مزّق وداس الأسد الخطوط الحمراء التي رُسمت له، وقوبل ذلك بالصمت المخجل من قبل المجتمع الدوليّ عامّة ومجلس الأمن خاصّة.

إذاً، الحذر مطلوب في التعامل مع مبادرة «دي ميستورا»، فلا نريد أن نعيد للأذهان تجربة البوسنة والهرسك عام١٩٩٥ عندما اجتاحت القوّات الصربيّة منطقة سربرنيتسا عنوة وقامت بعزل الذكور وتصفيتهم ودفنهم في مقابر جماعيّة، كما وتمّت عمليّات اغتصاب واسعة وممنهجة للنساء في تلك المنطقة، مع أنّها كانت منطقة آمنة وتحت الحماية الدوليّة بموجب قرار مجلس الأمن رقم ٨١٩ لعام ١٩٩٣.

وغير خافٍ على أحد أنّ «دي ميستورا» غربيّ المنشأ والهوى، ومصالح بني قومه تعلو لديه ولا يُعلى عليها، ومن غير المستبعد أن يكون القصد من طرحه الغدر بالثورة السوريّة، والقضاء على المعين الذي تنهل منه، أيّ الحدود التي تصل حلب خاصّة وسوريّة عامّة بالخارج، وبالتالي منح الفرصة للأسد للملمة صفوفه وترتيبها في أرياف كلٍّ من دمشق وحمص ودرعا، وغيرها من المناطق التي تقضّ مضجعه وتؤرّق سكينته، وما يزيد الشكوك هو قبول الأسد بتلك المبادرة، فمتى كان الأسد وشبّيحته الذين رفعوا شعار الأسد أو نحرق البلد غيورين على الدمّ السوريّ؟! لا أريد أن نتشاءم كثيراً من وعود المجتمع الدوليّ، ولكن من غير المعقول أن نعلّق عليه كلّ آمالنا، بعد الذي لاقيناه من مرارة العيش داخل سوريّة وخارجها بفضل صمت هذا المجتمع.

القاضي رياض علي

داعش والنصرة وجهان لعملة واحدة

قبل أكثر من عام ظهر تنظيم «داعش» كفصيل معارض للنظام السوريّ، مظهراً للسوريّين أنّ التنظيم يساعدهم لنيل الحريّة ولبناء بلد ديمقراطيّ، إلّا أنّ بعض الناشطين حذّروا من سياسة هذا التنظيم، مؤكّدين أنّ التنظيم يحاول سرقة الثورة، لكن وللأسف لم يصغ لهم أحد.

فترة وجيزة، وبدأ التنظيم بمحاربة السارقين من فصائل الجيش الحرّ في محاولة منه لتأييد شعبيّ، وخصوصاً في مدينة حلب عندما أعلن التنظيم الحرب على «جزرة والحيّاني» المعروفان بسمعتهما السيّئة، وهنا عادت أصوات بعض الناشطين السوريّين للتحذير من أهداف التنظيم ليس دفاعاً عن «جزرة وحيّاني»، بل للتنويه بأنّ التنظيم يحاول كسب تأييد شعبيّ له، تطوّر الأمر وبات التنظيم يتدخّل في الأمور الحياتيّة للسوريّين «كمنع التدخين، وفرض الحجاب ... إلخ»، وكان الشعب آنذاك معجباً بالتنظيم وبمحاربته للمفسدين في المناطق المحرّرة، تسارعت الأمور بشكل ملحوظ وبدأ التنظيم باعتقال الناشطين وخاصّة الإعلاميّين منهم، بحجج مختلفة كانتمائهم العلمانيّ، وبات كلّ من يحلم بدولة ديمقراطيّة ومدنيّة معرّض للخطف.

بعد تلك التجاوزات والانتهاكات من قبل التنظيم تنبّه الجيش الحرّ في حلب خاصّة لأهداف ونوايا هذا التنظيم، وبالفعل بدأ الجيش الحرّ بحرب ضارية لدحر التنظيم من حلب، وبالفعل استطاع الحرّ دحره في أيّام قليلة لينسحب لبعض القرى في ريف حلب، ولمقرّه الأساسيّ في الرقّة التي استولى عليها بعد أن دحر منها حركة أحرار الشام، وجبهة النصرة، ومن هنا أودّ مقارنة ممارسات التنظيم مع ممارسات النصرة، النصرة بدأت تتدخّل شيئاً فشيئاً في الأمور الحياتيّة في بادئ الأمر في إدلب خصوصاً، ومن الواضح أنّها تسعى لإقامة خلافتها هناك، فبدأت بمنع التدخين وفرض الحجاب، إلّا أنّها تحاول إقامة إمارتها بطرق تختلف قليلاً عن طرق «داعش»، النصرة كسبت تأييداً من فصائل الجيش الحرّ، والمدنيّين والناشطين، وذلك بسبب تواجدها الكثيف وتعاونها مع فصائل الجيش الحرّ في الجبهات القتاليّة ضدّ قوّات الأسد، والتدخّل بين فصائل الحرّ عند نشوب أيّة مشاكل بينهم ساعية لحلّها، فالنصرة بات لها أكثر من عامين تعمل بشكل جدّيّ لكسب تأييد جميع الأطراف لها، الطامة الكبرى للنصرة بدأت عند انسحابها من جبهات «مورك» وتوجّهها إلى ريف إدلب لمحاربة المفسدين من الحرّ، ما أدّى لتقدّم كبير لقوّات الأسد في تلك المنطقة، كما أدّى لخسائر فادحة في الأرواح على تلك الجبهة، وبدأت نقاشات الناشطين حول ذلك منهم من يبرّر فعلها ومنهم من يعارضه ويحاول تأكيد أنّ النصرة تقلّد «داعش» بسياستها.

منذ أسابيع بدأت النصرة بمحاربة جبهة ثوار سوريّة بقيادة «جمال معروف» الذي توعّد تنظيم الدولة، مؤكّداً أنّه سيقضي على التنظيم في حلب والرقّة والدير الزور، النصرة قالت: إنّ معروف اعتدى على بلدتي «البارة وكنصفرة»، وعلى بعض عناصرها، ولذلك اضطرّت للتدخّل بهدف إنهاء وجود «معروف» في تلك المنطقة، تاركة حلب المهدّدة من قبل قوّات النظام، متوجّهة إلى إدلب للقضاء على «معروف» المدعوم من الغرب.

كما أكّدت النصرة أنّ صقور الشام وأحرار الشام وجند الشام شاركوها في حربها على جبهة ثوار سوريّة، ونشرت النصرة مقاطع فيديو لمجازر جماعيّة بحقّ مدنيّين ومجاهدين على حدّ قولها قُتلوا وتمّ رمي جثثهم في الآبار ودُفنوا في مقابر جماعيّة مؤكّدة أنّ مرتكب تلك المجازر «جمال معروف» المدعوم من الغرب، ولكن الاقتتال لم يقف عند جبهة ثوار سوريّة، بل تمّ توجيه أسلحة النصرة باتجاه حركة حزم أيضاً، دون أيّة أسباب واضحة، وأضاف «الجولاني» في مقطع صوتيّ له بثّته «المنارة البيضاء» أنّ «معروف» يعدّ من الشخصيّات التي يدعمها الغرب، وأنّه لا يسعى لتحقيق ما يرمي إليه «المجاهدون في سوريّة»، وقال: إنّ باب التوبة مفتوح أمام «معروف» وغيره لقطع علاقاتهم بالمخابرات الخارجيّة، أي أنّ السبب الرئيسيّ لمهاجمة «معروف» هو ليس قتل المدنيّين والمجاهدين على حدّ قول «الجولاني» في ريف إدلب، وإنّما بسبب تخابره مع الغرب، ودافع بشكل غير مباشر عن تنظيم الدولة التي تحارب النصرة أيضاً وتتّهمه بالردّة عندما قال: إنّ التحالف الدوليّ يستهدف المجاهدين في الرقّة ودير الزور وحلب، ومن المعروف أنّ الرقّة مسيطر عليها من قبل التنظيم.

النصرة هي فرع للقاعدة، انشقّ عنها البغداديّ وشكّل تنظيم الدولة، أي أنّ الأهداف والأيديولوجيا ذاتها في الفرعين، وهذا يدلّ أنّ النصرة في المستقبل القريب ربّما ستبدأ باعتقال كلّ من يطالب بدولة مدنيّة وديمقراطيّة، لأنّها في نظرهم دولة تخالف الشريعة الإسلاميّة، لن أخوض هنا في أحقيّة قيام خلافة إسلاميّة في سوريّة، لنترك ذلك لصناديق الاقتراع في حال سقط نظام الأسد، لكن أن تفرض شكل الدولة المستقبليّة بالسلاح والاعتقال فهذا غير مقبول.

وهنا أكرّر تحذيرات أطلقناها سابقاً حول نيّة تنظيم «داعش»، لكن هذه المرّة أودّ أن أطلق التحذيرات ذاتها على جبهة النصرة، أتمنى أن تلقى هذه التحذيرات من يصغي لها ويحاول أن يضع حدّاً لتصرّفات النصرة التي باتت بالفعل تهدّد ما تبقّى من الثورة السوريّة.

محمّد الحاج

إعلان سورية

كلنا نصّ وثيقة «إعلان سورية» التي صدرت عن مؤتمر «كلّنا سوريّون.. معاً نحو وطن للجميع»

لأنَّنا ننتمي إلى شعبٍ يدعو إلى الفخر؛ ولأنَّنا نعتزُّ بما قدَّمه خلال العامين الماضيين من أجل الحريّة والكرامة الإنسانيّة والعدالة الاجتماعيّة؛ ولأنَّنا نؤمن بحقِّه في العودة إلى مركزِ الفعل بعد عقودٍ من التّهميش والإقصاء والإفقار؛ وإدراكاً منّا للتحدِّيات التي تواجهه في طريق بناء الدولة الوطنيّة الديمقراطيّة الحديثة؛ ولأنَّنا نؤمنُ بأنَّه لا ينبغي لسورية إلّا ما يليقُ بها؛ واحتراماً ووفاءً لأرواح شهدائنا وتضحياتِ شعبنا العظيم؛ لأنَّنا نؤمنُ بذلك كلّه؛ اتّفقنا، نحن الموقّعين أدناه، على مجموعةٍ من الرّؤى والمبادئ والأسس، من أجل فجرٍ جديدٍ لسورية والسوريّين. ونحنُ إذ نُعلنُ إيمانَنا بهذه المبادئ، ندعو كلَّ المثقفين والسِّياسيِّينَ؛ قادةً وناشطينَ، إلى الالتزامِ بها، وندعو كلَّ أبناءِ الوطنِ إلى العملِ من أجلها:

الثّورة السوريّة الثّورة السوريّة التي أعادتِ الرّوحَ إلى الشَّعب السوريِّ، هي أهمُّ حدثٍ في تاريخ سورية المعاصر، قام بها شعبٌ عظيمٌ أدهش العالمَ كلّه، لاسترجاع وعيه وإرادته وثقته بنفسه، والتحوّل إلى ذاتٍ حاضرةٍ وفاعلةٍ بعد عقودٍ من إقصائه وتهميشه. فمنذ انطلاقتها شرع السوريّون بالتعرّف على بعضهم بعضاً من دون حواجز، وصاروا يتواصلون ويتفاعلون مُنهين حقبةً طويلةً من الانعزال والجهل ببعضهم، وأخذوا يتبادلون معاناتهم وآلامهم، ويستردّون ذواتهم التي بدَّدها القمع والاستبداد. هدف الثّورة هو التّغيير البنيويُّ الشاملُ الذي لا يعني إسقاط النظام فحسب، بل أيضاً تفكيكُ بنية الدولة الشموليّة وإعادةُ بنائها عبر تأسيس عقدٍ اجتماعيٍّ جديدٍ أساسُه المواطنُ السوريُّ. يرافق أيّ ثورةٍ أو يتبعها اختلاطاتٌ، وهذه الاختلاطاتُ الكريهةُ أو المربكةُ تتبع في شدّتها وقوّتها وسوئها درجةَ سوءِ النظام الذي قامت ضدّه الثّورة. وفي الطريق إلى انتصار الثّورة، وبعد انتصارها، سيخرج إلى السّطح كلُّ الأمراض التي نشرها نظامُ الحكم في مجتمعنا عبر تاريخه. الأخطاءُ الحاصلةُ في الثّورة لا تُهين الثّورة أو تقلّل من شأنِها، بل هي إدانةٌ للنظام ذاته، وهذا ليس تبريراً لأخطاء الثّورة بل تفسيرٌ لها. الثّورةُ تقدِّم فرصةً للخلاص من أخطاء الماضي، وهذا ممكنٌ عندما لا يجري السكوت عنها ويتمُّ فضحُها ونشرُها على الملأ والقيام بكلِّ ما يلزم لتجاوزها، وهذا هو الفعلُ الثوريُّ الحقيقيُّ، فالثّورة ليست لافتةً نرفعُها أو شعاراً نصدحُ به، بل هي فعلُ هدمٍ وبناءٍ متلازمين.
النظام السوريّ

حكم سورية نظامٌ استبداديٌّ قام على منطق الغلبة والقهر والعصبيّة، تغلغل فسادُه طولاً وعرضاً وعمقاً في كلِّ المناحي، وهيمنت سلطتُه على الدولة، وألغت وظائفَها وأدوارَهـا، وحوّلتها إلى أخطبوطٍ مهيمنٍ على الحياة السياسيّة والتعليميّة والثقافيّة والاجتماعيّة ومؤسّساتِ المجتمع المدنيِّ والنقابات، وعملتْ على تدميرِ مختلف الفئات الاجتماعيّة، وألغت سائرَ أشكالِ التّضامن الاجتماعيِّ، وحوّلت المجتمعَ السوريَّ إلى سديمٍ بشريٍّ مفكّكٍ ومهلهلٍ، وإلى أفرادَ منعزلين ومحاصرين بالخوفِ والرعبِ من أجهزتها الأمنيّة، وجرى تخفيضُ "المواطنة" إلى مستوى الولاء الحزبيِّ أو الشخصيِّ، والشَّعب إلى مستوى "الرعيّة" التي أراد لها النظام أن تكون متفرِّجةً وصامتةً ومباركةً لكلِّ ممارساتِه فحسب.

اعتمد النظامُ آليةً وحيدةً في التعاطي مع السوريّين تقومُ على القتل والقمع والاعتقال. وهو لم يتعامل معهم، في أيِّ لحظةٍ، بوصفهم شعباً، أي كمواطنين أحراراً، بل كجماعاتٍ إثنيّةٍ وطائفيّةٍ ومذهبيّةٍ، يجمع بينها بالقوّة العسكريّة والأمنيّة، ولذا لم يخلق هُويَّةً وطنيّةً جامعةً، بل إنَّه حطَّم جنين الدولة الوطنيّة التي تشكَّلت بعد الاستقلال. وأصبح واضحاً، بعد انطلاق الثّورة السوريّة، أنَّ النظام لا يَصلُح ولا يُصلِح ولا يُصلَح. إنَّه ليس أكثر من سلطةٍ ضيِّقةٍ مستعدةٍ لسفك دماء السوريّين واضطهادِهم دون هوادة للإبقاء على هيمنتها على البلاد، ولا تتردَّد أبداً في استثارة العنف والطائفيّة والتدخّلات الأجنبيّة كي تبقى.

إنَّ الدمج بين النظام الحاكم والطائفة العلويّة هو خطأٌ سياسيٌّ وأخلاقيٌّ قاتلٌ، فالنظام السوريّ ليس نظام الطائفة العلويّة، ولم يكن يوماً نظاماً في خدمتها، بل على العكس، كانت الطائفةُ العلويّةُ مأسورةً – ولا تزال – من قبل النظام. النظامُ السوريُّ هو المولِّد الأساسيُّ للتفكير الطائفيِّ والمصدرُ الأوَّلُ للممارسات الطائفيّة، فيما المصادر الأخرى تختص بها بعض الأطراف غير العاقلة التي تتعامل مع سلوك النظام بردّاتِ أفعالٍ غير متوازنة. إنَّ إحدى مهام الثّورة السوريّة، وفي سياق إعادة بناء الهُويَّة الوطنيّة، تحريرُ الطائفةِ العلويّة من أسر النظام الحاكم.

لا أفقَ للسوريّين إلّا برحيل النظام. ففي رحيله بدايةُ خيرٍ لكلِّ السوريّين، وخطوةٌ أولى في اتجاه تحقيق السِّلم الأهليِّ والمصالحة الوطنيّة، وفي بقائه استمرارٌ للشروخ الهائلة التي خلقها داخل المجتمع السوري، وتحريضٌ على نموِّ آليّاتِ الحقد والانتقام بين السوريّين. ضاقت الطرق أمام النظام، إلّا أنَّه بحكم طبيعته وبنيته سيستمرُّ حتى النهاية في خياره ومقولاته، ولن يتراجعَ عنها، فهو لا يمتلكُ القدرةَ والإرادةَ اللازمين لحلٍّ سياسيٍّ يحقِّق مصلحةَ البلد والشَّعب. دورُ السوريّين المهمّ هو في كيفيّة تحقيق رحيل النظام مع الحفاظ على ما تبقّى من الدولة والبلد، بحيث لا يكونُ المسارُ هو الفوضى بعد الرَّحيل.

المبادئ

الإنسان والمواطنة الإنسان هو المبتدأ والخبر، وهو معيارُ جميع القيم. وإنَّ احترام الإنسان وتقديره لذاته، لا لحسبه ونسبه ولا لثروته ولا لقوته، ولا لأيِّ صفةٍ أخرى من صفاتِه، هو المبدأُ الرئيسُ المؤسِّسُ للدولة الجديدة، وعليه ينبني مبدأ المواطنة الذي يعني تساوي المواطنين في الكرامة الإنسانيّة وأمام القانون في الحقوق والواجبات من دون أيِّ تمييزٍ بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدِّين أو العقيدة، والمعنى العميق لها هو أنَّه ليس هناك من سوريٍّ أكثرَ سوريّةً أو أقلَّ من سواه.

الدولة الجديدة الالتزام بالمبادئ الفكريّة والسياسيّة والأخلاقيّة التي تتأسَّس عليها الدولة الوطنيّة الديمقراطيّة الحديثة، خاصةً مبدأ العموميّة التي تتجلَّى في الدستور والقانون العام. فالصفة الأساس في الدولة المنشودة هي الوطنيّة / العموميّة، أي أنّ الدولة المستقبليّة ليست دولةَ فردٍ أو طغمةٍ أو طائفةٍ أو عشيرة أو حزب، بل دولةُ جميع المواطنين. وتتركّز وظيفتُها الأساسيّةُ في الحفاظ على طابعها العامّ المشترك، وعلى بقاء جميع مؤسّساتِها مؤسّساتٍ وطنيّةً عامّةً، أي في حياديّتها تجاه الأفراد والجماعات والتنظيمات، وعدمِ اختلاف أدائِها إلّا بقدرٍ طفيفٍ عندما تتبدَّل السلطةُ الحاكمةُ من خلال الانتخابات الديمقراطيّة الحرّة والنزيهة.

إنَّ تاريخ سورية هو تاريخُ كلِّ التنوُّع الثقافيّ والسياسيّ والدينيّ والاجتماعيّ فيها، وليس تاريخَ عرقٍ بعينه أو دينٍ أو مذهبٍ دون سواه. لكن أمام الدولة السوريّة هناك شعبٌ سوريٌّ، ومواطنٌ سوريٌّ. وإنَّ الثلاثيّة المتمثلة بالدولة السوريّة، الشَّعبِ السوريّ، المواطنِ السوريّ، هي أساسُ بناءِ الدولةِ الجديدة، ومنطلقُ التعاطي مع أيّ قضايا أو إشكالاتٍ مطروحةٍ على السوريّين.

النظام الديمقراطيّ المعنى العميق للنظام الديمقراطيّ هو أنَّ جميعَ المواطنين يشاركون في صوغِ الحقيقة السياسيّة، أي ما يصلح وما لا يصلح لخير المجتمع وسعادته. ولهذا النظام مجموعةٌ متكاملةٌ من العناصر، ومنها مبدأ الفصل بين السلطات الثلاث، ومبدأ سيادة القانون واستقلال القضاء، وحقُّ المشاركة في الشؤون العامة، واعتبارُ الشَّعب مصدرَ الشرعيّة والسلطات جميعها، واحترامُ حقوق الإنسان، ومبدأ حماية حريّة التفكير والتعبير وحقّ التنظيم، وحريّة الصحافة والنشر، وعدم الاستئثار بالسلطة وتركيزها في مركزٍ واحدٍ، أي اللامركزية في الإدارة وتوسيع دائرة اتخاذ القرار في المستويات كافة، وتنظيم الحياةِ السياسيّة عبر قانونٍ ديمقراطيٍّ للأحزاب، وتنظيم الإعلام والانتخابات البرلمانيّة وفق قوانين توفر الحريّة والشفافية والعدالة والفرص المتساوية. الدولة المنشودة هي دولة جميع المواطنين، فأيّ نظامٍ سياسيٍّ يستمدُّ شرعيتَه من هيمنة أغلبيّةٍ دينيّةٍ، أو طائفيّةٍ، أو أيديولوجيّةٍ عرقيّةٍ، إنّما يقوّض الديمقراطيّة وينتهكُ كلَّ شروط المواطنة المتساوية. لذا ينبغي الوقوف بحزمٍ ضدَّ شعارات حماية الأقليّات من أيّ طرفٍ كان، لأنَّه لا يعني إلا إلغاء مفهوم الدولة والوطن، وإلغاء مفهوم الشَّعب سياسيّاً، ونشوء حالةٍ دائمةٍ من التوتّر والاحتقان في المجتمع.

الحريّات والسِّلم الأهليّ إنَّ طموح السوريّين يتّجه نحو وطنٍ تُتاح فيه الحريّةُ لجميع الأديان والمذاهب والأيديولوجيّات والأحزاب في التعبير عن نفسها والفعل والتأثير مع استمرار دولتهم السياسيّة في التعبير عن الكلِّ الاجتماعيِّ. لذا ينبغي رفض كلّ رسائل التطمين المبتذلة الموجَّهة لأيّ طائفةٍ، لأنَّها تعبِّر في العمق عن منطلقٍ طائفيٍّ في النظر للسوريين لا عن منطلقٍ وطنيٍّ، وكذلك رفض انتظار البعض للرسائل المطمئِنة لأنَّها تعني أنَّهم ينظرون لأنفسهم بأنَّهم مواطنون هامشيّون.

على الرّغم من الصراع العسكري الذي أدخل النظامُ البلادَ فيه، فإنَّه ينبغي التأكيدُ على حُرمَةِ الدِّماءِ والممتلكاتِ الوطنيّة العامَّةِ والخاصَّة خارج إطار الدّفاع عن النفس، ونبذُ العُنفِ بكلِّ صورهِ وأشكالِه، وإدانتُه الصَّريحةُ القاطعةُ، وتجريمُه وطنيًّا، وإدانةُ التحريضِ على العُنفِ، أو تسويغِه أو تبريرِه، أو التَّرويجِ له، أو الدِّفاعِ عنه والتّأكيد على الالتزام بعد رحيل النظام بالوسائلِ السياسيّةِ السِّلميَّةِ في العمَلِ الوطنيِّ العامِّ، وحمايةُ النَّسيجِ الوطنِيِّ الواحدِ من الفتنِ الطائفيّةِ المصنوعةِ والحقيقيَّةِ، ومن الدَّعواتِ العُنصُريَّةِ، ومن كُلِّ ما يُهدِّدُ سلامةَ الوطنِ، وتضامُنَ أبنائِه، ووحدةَ تُرابِه.

الأسس المكمِّلة

• تنبني الدولة السوريّة على فكرة العدالة، أساسُها سيادة القانون، وتقوم على بناءٍ قانونيٍّ لا يستثني أحداً من المحاسبة بصرف النظر عن موقعه الوظيفيِّ أو طبيعة المؤسَّسة التي يعمل فيها. وتقتضي العدالة وجود هيئةٍ وطنيّةٍ للعدالة الانتقاليّة والمصالحة وردِّ المظالم من أجل المحاسبة والكشف عن المفقودين والتعويض على المعتقلين وضحايا العنف

• بناءُ الثقافة الوطنيّة والوعي الوطنيّ على أرضيّةٍ ديمقراطيّةٍ، وتحريرُ مناهج التربية والتعليم من التشوّهات التي نمت بفعل الاستبداد، واحترام التنوّع والاختلاف بوصفه مصدر غنىً وطنيّ، وضمان الحقوق الثقافيّة والاجتماعيّة للجميع، من خلال برامجَ وطنيّة عامة تركّز على المشترك الثقافيّ كما على جماليّات الاختلاف بوصفه منبعاً للإبداع والتجديد

• ضمانُ حقّ المجتمع في تنظيم نفسه وإقامة مختلف المنظَّمات والجمعيَّات والاتحادات في كافة أوجه النشاط الروحيّ والثقافيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ، وتوفير الظروف والمناخات التي تكفل استقلال مؤسَّساتِ المجتمع المدنيّ - تنظيمياً وماليّاً - عن السلطة السياسيّة

• ضمانُ حريّة الجماعات الإثنيّة وحقوقها الثقافيّة والاجتماعيّة، وإيجادُ حلٍّ ديمقراطيٍّ عادلٍ للقضيّة الكرديّة في إطار وحدة سورية أرضاً وشعباً، بما يضمن المساواة التامة للمواطنين السوريّين الأكراد مع بقية المواطنين من حيث حقوق الجنسيّة والثقافة وتعلّم لغتهم وسائر الحقوق السياسيّة والاقتصادية والاجتماعيّة والقانونيّة

• إطلاقُ إستراتيجيّة وطنيّة للنهوض بالمرأة، والالتزام باتفاقيّة القضاء على جميعِ أشكالِ التّمييز ضدَّها، والعمل على تمتّعها بكافة حقوقها، وتوفير المناخ المناسب لتوسيع مشاركتها في الحياة السياسيّة وفي التنمية الشاملة، وغرس قيم الشراكة الحقيقيّة، والوقوف ضدَّ كلِّ المعوقات التي تحول دون ذلك باعتبارها تتعارض مع قيم المواطنة المتساوية

• إعادةُ بناء الجيش السوريّ على أسسٍ وطنيّةٍ تحدِّد مهامه بحماية الوطن وصون وحدته وحراسة ثرواته والحفاظ على تراثه وحضارته ونظامه الديمقراطيّ، وإبعادُه عن النزاعات السياسيّة والولاءات الحزبيّة والمناطقيّة، والعشائريّة، والمذهبيّة، أو أيّ صراعاتٍ أخرى أو ولاءاتٍ ضيِّقةٍ تخرجُه عن دوره الوطنيّ. وبناءُ أجهزة الأمن على أسسٍ تجعل منها حارساً أميناً لمصالح المواطنين، تصونُ دماءهم وأعراضهم وأموالهم وتحمي حرياتِهم، وتكون محددّةَ المرجعيّات والمسؤوليّات وخاضعةً للمساءلة القانونيّة على المستويين الشخصيّ والاعتباريّ، ويخضع عملُها للمراقبة الشَّعبيّة

• بناءُ نظامٍ اقتصاديٍّ حديثٍ يقومُ على التوازن بين الحريّة الاقتصادية والاحتفاظ بدور الدولة في الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة، خاصةً ما يتعلق بالقطّاعات الإستراتيجية، وتطويرُ سياساتٍ اجتماعيّةٍ واقتصاديةٍ تُؤمِّن المواطنين ضدَّ الفقر، وتضمنُ توزيعاً عادلاً للدخل القوميِّ، وإتاحةُ فرصٍ متساويةٍ أمام الجميع، وشغلُ الوظائف استناداً إلى مبدأ الكفاءات لا الولاءات، وإطلاقُ عمليّة تنميةٍ متواصلةٍ على المستويات كافة، البشريّة والاقتصاديّة والعلميّة، بما يضمن تحسين الأوضاع المعيشيّة، ومحاربة ظواهر النهب والفساد والإفساد، ودخول سورية إلى المجتمع العالميّ من بوابة العلم والإنتاج والمعرفة

• تلتزمُ السياسة الخارجيّة لسورية الجديدة بمبادئ وأهداف الشَّعب السوريّ وبالمصلحة الوطنيّة السوريّة، وفي مقدّمها الحفاظُ على استقلال وسيادة سورية ووحدتها وحماية أمنها واستقرارها وسلامة أراضيها، وخدمة المصالح الاقتصاديّة الوطنيّة ودعم وتعزيز استراتيجيّات التنمية الشاملة. سورية الجديدة دولةٌ تقوم على كامل أراضيها ولا تتخلى عن أيِّ جزءٍ محتلٍّ منها، وتستخدمُ كافة الوسائل المتاحة والمشروعة لتحرير أراضيها؛ دولةٌ تقوم علاقاتها مع محيطها العربيّ على أساسٍ تكامليٍّ يحقِّق المصالح الأخويّة المشتركة، كونها جزءاً من محيطها العربيِّ وحاضنتها العربيّة؛ دولةٌ تلتزمُ دعمَ الشَّعب الفلسطينيِّ وحقّه في إنشاءِ دولتِه الحرّة السيّدة المستقلّة وعاصمتها القدس، ودعم كلّ الشعوب العربيّة في تطلّعاتها التحرّريّة ومناهضة الاستبداد؛ دولةٌ تقوم علاقاتُها الدوليّة على مبدأ الندّيّة والاحترام المتبادل، وعلى احترام المواثيق والعهود الدوليّة، وتلتزمُ حكومتها بما ورثته من اتفاقيّاتٍ وعقودٍ لا تخلُّ بسيادتها ولا تضرُّ بمصالح شعبِها.

القاهرة ٢٠١٣/٣/٢٤

حـوار مـع الدكتور راتـب شــعبو

(تتابع «كلّنا سوريّون نشر الجزء الرابع من الحوار الذي أجراه المعارض الصحفيّ غسّان المفلح مع المعارض الكاتب والمترجم والطبيب راتب شعبو)

تعليق على التعليق:

شعبو: في استبيان حديث يضمّ ٢٨ سؤالاً، شمل أكثر من ٦٠٠ شخصٍ من السوريّين العلويّي المولد، كانت لي مساهمة أساسيّة في إعداده وتنفيذه، تبيّن أنّ ٤٤٪ من المستطلعين مع تغيير النظام، و٥٤٪ يرون أنّ النظام يتحمّل مسؤوليّة القتل، و٣٥٪ يريدون أن ينتهي الصراع على شكل تسوية بين النظام والمعارضة، فيما يرغب ٢٢٪ منهم بنصر حاسم للمعارضة (بالطبع لا يشمل مفهوم المعارضة هنا جبهة النصرة ولا الدولة الإسلاميّة ولا أشباهها) مقابل ٤٣٪ يرغبون بنصر حاسم للنظام، ينبغي أن يضع هذا الاستبيان، الذي سينشر قريباً والذي أنجز بظرف صعب وبمعايير مركز أمريكيّ متخصص بالاستبيانات، أصحاب التصوّرات الذهنيّة المستقرّة التي ترى إلى كتلة مذهبيّة ما على أنّها كتلة مسمطة، في موضع تساؤل ومراجعة للتصوّرات على الأقلّ.

لا يتماشى هذا الاستبيان الواقعيّ مع القول «الذهنيّ» بأنّ آل الأسد تحوّلوا عند العلويّين إلى ربّ سياسيّ ودينيّ، هذا قول ارتجاليّ وضعيف السند في الواقع رأيي أنّ العكس أقرب إلى الحقيقة، أقصد أنّ العلويّين اليوم، وبعد أن دفعوا ثمناً باهظاً في حماية «سلطة الأسد»، بات لديهم تصوّر عام من شقّين:

١- إنّ الأسد جرّ عليهم بلوى خسروا فيها ما يقرب من ١٠٠ ألف شابّ علويّ (تقديرات شخصيّة) مع تحميلهم وزر أخلاقي _ على الأقلّ _ عن مجازر مروّعة ارتكبها النظام وينظر إليها قطاع واسع من المجتمع السوريّ على أنّها مجازر تُرتكب باسم العلويّين وبيد علويّة، ومعروف أنّ الوزر الأخلاقيّ قابل للتحوّل إلى وزر سياسيّ يتوجّب دفع فاتورته حين تتبدل موازين القوى.

٢- إنّ سلطة الأسد هي ملك كلّ من دافع عنها، فلم تعد السلطة في سوريّة ملك للأسد كما كانت حتّى مطلع ٢٠١١، وهذا يرسم خط صراع كامن ضمن معسكر النظام، ما أن يطمئنّ الموالون إلى تراجع تهديد الإسلاميّين، أي إنّ النتيجة التي يرسمها هذا الصراع في ذهن العلويّين هي تماماً سقوط الأسد من حيث القيادة ومن حيث الأحقيّة بالسلطة وليس تحوّله إلى ربّ سياسيّ وديني.

من ناحية أخرى، بالفعل أظهر العلويّون خلال التبدلات العميقة التي شهدتها سوريّة في السنوات الثلاث والنصف الأخيرة، أقصد خلال ما بدأ ثورة حرّيّة وانتهى صراعاً أعمى على السلطة يتوسّل كلّ الوسائل، نكوصاً طائفيّاً ملحوظاً، وهذا جعلهم أقلّ حساسيّة تجاه الممارسات الإجراميّة التي يقوم بها النظام وشبّيحته والمنظّمات العسكريّة الحليفة له، فقد استيقظت في أذهانهم صورة «آخر طائفيّ» يريد «إبادة العلويّين». على هذه الصورة الشيطانيّة نام ضمير قسم كبير من العلويّين وسكت عن مذابح مروّعة راح ضحيّتها أطفال ونساء سنّيو المولد، ومن لم يرتاح ضميره على هذه الصورة، ارتاح على حقيقة أنّ المعارضة تفبرك الفيديوهات وتشتري شهود العيان، وبالتالي فإنّ الفظائع التي تصل إلى الإعلام إنّما هي فبركات إعلاميّة، ساعد في ذلك ممارسات غير نزيهة من بعض أطراف محسوبة على الثورة، بالمقابل نامت ضمائر قطاع واسع من السنّة عن جرائم مشابهة لجرائم النظام قام بها إسلاميّون متطرّفون، أو جمهور هائج بحقّ علويّين أبرياء، فخسر المجتمع السوريّ بذلك القاسم المشترك الأهمّ، وهو الضمير الذي يُفترض أنّه كمون الخير في الفرد، النتيجة تعطّل الضمير الاجتماعيّ وديست الأخلاق العامّة، ووجدت الطائفيّة لها مكاناً ومستقراً في أذهان السوريّين.

أمّا الكلام عن «أمر مبيّت سلفاً» فهو يتعامل مع الطائفة العلويّة، أو أيّ جماعة تُنسب إلى مذهب معين، كما لو أنّها جوهر خارج التاريخ، لا تخترقه التمايزات ولا الزمن، كما لو أنّ هذه الجماعة جزء متمايز عن المجتمع السوريّ، يتآمرون فيما بينهم ويكيدون وينتصرون دائماً لطائفيّتهم على خلاف الواقع الاجتماعيّ لبقية المذاهب والطوائف، إنّ النظر إلى العلويّين أو إلى غيرهم وفق مفاهيم «معاداة المجتمع السوريّ، والتواطؤ الجمعيّ، والتوافق المسبق المبيّت على أمر ما ..الخ»، إنّما يندرج في باب تلغيم المستقبل، شخصيّاً لا أرى أيّ جدوى سياسيّة يمكن أن تسوّغ قول مثل هذا الكلام، فضلاً عن أنّه تصوّر غير صحيح.

هذا لا ينفي أن يكون ثمّة لحظات تاريخيّة يتوافق فيها عموماً خط النسب الطائفيّ مع موقف سياسيّ ما، غير أنّ هذه لحظات عابرة لا تسوّغ الكلام عن أيّ طائفة ككتلة متمايزة كما لو أنّها حزب سياسيّ، في هذا تنميط لا يمكن أن يقول الحقيقة.

تبلور منذ وقت مبكر وعيّ عام لدى القطاع الأكبر من العلويّين غير متعاطف أو معادٍ للثورة (أكرر: التي انتهت منذ أكثر من سنة إلى صراع على السلطة يتوسّل أيّ وسيلة ويخضع لسياسات غير سوريّة من جانبيه)، لكن يتعيّن علينا، إذا أردنا ألّا نستعجل الأحكام ونبتسر النتائج، أن نلتفت إلى جوانب مهمّة في سياق الصراع أظهر فيه العلويّون ما يخالف الصورة الإعلاميّة المروّجة في أوائل آب ٢٠١٣ احتلت تنظيمات إسلاميّة مجموعة من قرى شمال اللاذقيّة وقتلوا مدنيين عزّل وخطفوا ما يزيد عن ١٥٠ بين طفل وامرأة واختطفوا شيخاً علويّاً، ثمّ عرضوا صورته على «النت» بطريقة استفزازيّة وهو يحمل آثار تعذيب ويظهر الدم على جلبابه الأبيض، ثمّ بعد يومين أظهروه مقتولاً ومرميّاً على الأرض، كانت صدمة كبيرة لا شكّ، ولكن رغم ذلك لم يحدث أيّ ردّ فعل طائفيّ مقابل، ولا يزال إلى اليوم أكثر من ٥٥ مخطوفاً بين طفل وامرأة محتجزين لدى هذه التنظيمات.

لم ينزلق الساحل إلى عمليات قتل وخطف طائفيّ متبادل، كما جرى في حمص مثلاً، لاحظ أنّ مدن وبلدات الساحل اتسعت لمئات ألوف المدنيّين الفارين من مناطق الصراع العسكريّ في حلب وإدلب وحمص دون أن تحدث احتكاكات تذكر، هذا أمر يُبنى عليه في العلاقة الوطنيّة، مع ذلك تجد من يكتب في الصحف: إنّ أهل الساحل رحّبوا بالحلبيّين الفارين من القتال طمعاً بالمكاسب الاقتصاديّة، كما لو أنّ أهل الساحل كلّهم أربـاب عمل يبحثون عن زبائن، أو أنّ كلّ الحلبيّين أصحاب ثروات ستنهض باقتصاد الساحل، يمكن للقراءة أن تشوّه أيّ واقعة، لكن حتّى الحوادث

الطائفيّة يجب النظر إليها بعين وطنيّة، إذا أردنا التأسيس لمستقبل أفضل من حاضرنا.

السؤال الرابع: إذا كانت الأكثريّة الموضوعيّة هي من السنّة، فمن الطبيعيّ جداً، أن تكون نتائج ممارسات النظام على مدار أربعة عقود ونصف من التمييز والفساد والنهب والقمع، أن ينالها حصّة الأسد من هذه الممارسات، ما الذي عليهم أن تفعله الناس المحتجّة غير التظاهرات والشعب السوريّ واحد، والانتقال من المطالبة بإصلاح النظام إلى اسقاط النظام بشكل سلميّ، ما الذي كان يتوجّب عليها فعله؟ أن تتثقف علمانيّاً مثليّاً مثل آل الأسد؟

الجواب الرابع:

الاستبداد الأسديّ لم يوفّر أحداً على مدى سنين حكمه، لا عدوّ له سوى صاحب الرأي المستقل والنزوع الحرّ كائناً من كان، طالما أنت تحت إبطه فأنت مقبول أكنت يسارياً متطرّفاً أو ليبراليّاً، علمانيّاً أو قاعديّاً ..الخ، ولكنّه سيسحقّ أيّ نزوع استقلاليّ لديك حتّى لو كنت بعثيّاً، لم يقمع النظام السوريّ المستبد الثورة لأنّها اكتسبت لوناً إسلاميّاً مثلاً، لم يقمعها لأنّها خرجت من الجوامع، أو لأنّ صيحتها الغالبة كانت (الله أكبر)، أو لأنّ مشايخ سُنّة ساندوها وأفتوا لها ..الخ، قمعها لأنّها قوّة مستقلة خارجة عن سيطرته، وكان سيقمع أيّ مظاهرة حتّى لو كانت تهتف بحياة الأسد طالما أنّ هذه المظاهرة تخرج بشكل مستقل وليست من تنظيم وترتيب أجهزته الأمنيّة، لا يهمّ النظام المستبد أن يتثقف الجمهور علمانيّاً أم دينيّاً، ما يهمّه هو الخضوع ولا يهمّه وفق أيّ ثقافة يتمّ الخضوع، الاحتجاج والخروج من تحت السيطرة واكتساب مساحات حرّية مهما كانت ضيّقة، هو ما ينبغي على المقهورين عمله.

غسّان المفلح

مسيحيّو سورية وسؤال الدور المستقبليّ ٢/٢

البروفسور الدكتور الدكتور نجيب جورج عوض، شاعر وباحث لاهوتيّ أكاديميّ من مواليد اللاذقيّة، يعيش ويعمل حالياً في أمريكا، له العديد من المؤلّفات العلميّة والشعريّة والمقالات، في عدّة لغات.

لم يكن هناك حرّيّة دينيّة على الإطلاق في سورية البعث - الأسد، بل كان هناك إيحاء دائم بإمكانيّة تعرّض أيّ مسيحيّ لاضطهاد مستطير حدّه الأدنى الموت، وحدّه الأقصى القمع والسجون والترهيب وخنق فرص العيش الكريم المنظّمة، إذا ما فكّر أحد المسيحيّين بأن يعبِّر في الكنيسة عن رأي حرّ يتعلّق بالشأن العامّ. بكلمات أُخرى، مقابل حماية المسيحيّين من أيّ اضطهاد دينيّ من أيّ طرف غير مسيحيّ، أُجبر المسيحيّون، أسوة بإخوتهم المسلمين أيضاً، على التنازل عن حرّيّتهم الدينيّة والمدنيّة وفُرضَ عليهم التخلّي عن لعب أيّ دور حرّ، مدنيّ حقيقيّ وفاعل في الساحة المدنيّة العامّة. ثمن الحماية من الاضطهاد كان الخروج من الحياة العامّة والانزواء داخل دار العبادة والتخلّي عن لعب أيّ دور فكريّ أو مدنيّ أو دولتيّ نقديّ، حرّ وإصلاحيّ عامّ.

ما أريـد تبيانه من خـلال تسليط الضوء على ذينك الجانبين الخاطئين في الادّعاء التقليديّ الشائع بين مسيحيّ سورية عن وضعهم المدنيّ خلال عهد البعث -الأسد هو ما يلي: إنْ استمرّ مسيحيّو سورية بالكذب على أنفسهم وعلى العالم أجمع وواظبوا على التوهُّم بأنَّ حياتهم في عهد النظام القمعيّ الفاسد هي الحياة المثلى التي يعيشون هاجس فقدانها ولهذا يريدون التمسّك بها، فإنَّ هذا التمسّك بما فيه من أخطاء لن يدفعهم للعب أيّ دور حقيقيّ وفاعل في المستقبل السوريّ القادم، بل سيكون دورهم مجرّد تعبير انفعاليّ نُكوصيّ سلبيّ، بل ومُدمِّر لهم، ناتجٍ عن شعورهم بفقدان حالة وجوديّة عاشوها في عهد النِّظام الأسديّ وقد أقنعوا أنفسهم، واهمين ومخطئين، بأنّها أفضل حالة يمكن للمسيحيّين أن يوجدوا عليها في سورية (إنْ لم يكن العالم العربيّ) أو أن يكونوا فيها جزءاً من الكيان السوريّ. باختصار، الانطلاق من تفسير وتوصيف خاطئين وغير حقيقيين لحالة الوجود الماضية تؤدّي منطقيّاً واستقرائيّاً إلى اتّخاذ مواقف خاطئة وسلبيّة ومدمِّرة تجاه المستقبل.

إنْ استمرّ المسيحيّون السوريّون بالاعتقاد أنّ الوقاية من الاضطهاد تستحقّ التضحية بالحرّيّة الدينيّة، بل والحرّيّة عموماً، وأنّ تأمين النجاة أهمّ من لعب دور، فإنّهم في سورية المستقبل سيكرّرون نفس موقفهم في عهد النظام الأسديّ وستراهم، انطلاقاً من نفس الهوس بالسلامة، يتمسّحون مرّة أخرى بمنظومة السلطة الجديدة وسيبنون علاقات تحالف ومراضاة وخنوع جديدة مع أصحاب القرار فيها، مضحّين في المقابل بحقّهم البشريّ والمدنيّ والدولتيّ الأساسيّ بالحرّيّة بكافّة أنواعها وأشكالها، ومستمرّين في انزوائهم وتقوقعهم داخل صومعة الحياة الكنسيّة والدينيّة -الاجتماعيّة الضيّقة والانعزاليّة: الهوس بالنجاة وبدرء الخطر، سيتغلّب على الرغبة بالوجود الحرّ وبالمشاركة الفاعلة. وكلّما تنامى عند المسيحيّين إحساس الخوف من الاضطهاد وإمكانيّة حدوثه بسبب غياب حالة الأمان الوهميّة التي عاشوا في كنفها لعقود سابقة، كلّما تضاعف عندهم اطراداً هاجس الخوف من الآخر وهوس الانكماش على الذات، ممّا سيؤدّي إلى حالة من الأصوليّة المسيحيّة الانعزاليّة، قوامها حنين لحالة وهميّة ماضويّة من الحماية من اضطهاد مُتخيَّل، ووقودها قناعة لا تقلّ وهميّة بأنّ الدور الوحيد المتاح للمسيحيّين في عالمهم السوريّ هو أن يتوخّوا الحماية لا أن يقاتلوا لأجل الحرّيّة وأن يبادروا بلعب أيّ دور.

من جهة أخرى، إنْ استمرّ المسيحيّون السوريّون بالاعتقاد بأنَّ الوقاية من الاضطهاد تستحقّ التضحية بالحرّيّة وأنّ تأمين النجاة أهمّ من لعب دور، فإنّهم في سوريا المستقبل سيكرّرون نفس خطئهم أثناء عهد النظام البعثيّ بمدّ اليد للتحالف مع دوائر صنع القرار ومراكز السلطة، بدل أن يلتفتوا إلى الشارع العامّ ويبنوا جسور تواصل وشراكة حقيقيّة فاعلة ومدنيّة وعملانيّة مع باقي أطياف وشرائح وجماعات المجتمع والساحة العامّة السوريّة بكلّ مكوّناتها الشعبيّة.

أثناء عهد الأسد، اكتفت القيادات المسيحيّة السوريّة الروحيّة والزمنيّة على حدّ سواء بنسج علاقات مصالح مشتركة وعلاقات «حماية - طاعة» و»تسامح - ولاء» مع النظام الحاكم ومراكز السلطة وأجهزتها الأمنيّة. فعلت هذا، بدل أن تُعيد بناء شبكة علاقات مدنيّة حرّة وتفاعليّة وسوسيولوجيّة حقيقيّة مع الشعب والشارع وباقي أفراد المجتمع السوريّ من منطلق التشارك في وحدة الحال والمعاناة من نفس منظومة القمع والاضطهاد والمعاناة من نفس سياسة مقايضة الحماية بالولاء والتسامح بالتنازل عن الحرّيّات. إنْ كان مسيحيّو سورية سينطلقون في نظرتهم لسورية المستقبل من زاويـة الخوف من عقدة الاضطهاد وزاويـة الإيمان الخاطئ بالأسطورة الوهميّة التي ذكرتها في الأعلى، فهم عندها سيقصّرون في بناء علاقة تواصل وتفاعل وبنيان حقيقيّة مع الشارع السوريّ العامّ في المستقبل كما قصّروا في فعل ذلك في الماضي، وستراهم يعيدون انتاج خيار التمسّح بالسلطة وتفضيل الانفتاح عليها على الانفتاح على الشارع.

أيُّ دور لمسيحيّ سورية في المستقبل؟ الجواب على هذا السؤال يحدّده، كما حاولت أن أناقش هنا، المخيال الذي يحمله مسيحيّو سورية عن حياتهم في الماضي وما إذا كانوا مستعدّين لتفكيكه وإعادة تقييمه أم لا؟ إنْ كانوا مستعدّين لفعل ذلك، فلسوف يكتشفون بأنفسهم أنّ ادّعائهم بأنّ النظام البعثي - الأسديّ كان نظاماً علمانيّاً حَمى المسيحيّين من الاضطهاد الدينيّ وأعطاهم حرّيّتهم الدينيّة، ما هو إلّا وهم غير حقيقيّ، ولم يكن واقعيّاً حقّاً يوماً ما في سورية الأسد. ولسوف ينطلقون عندها من عمليّة النقد والتفكيك تلك ويأسّسوا عليها موقفاً مغايراً تماماً يجعلهم يلعبون دوراً فاعلاً وبنّاءً يحمل كلّ ملامح الحرّيّة (خاصّة الحرّيّة من الافتراضات الخاطئة وعقد الخوف والهوس بالأمان والنجاة) والانفتاح على الشارع السوريّ لا على مراكز السلطة؛ على أبناء وبنات المجتمع السوريّ لا على صنّاع القرار فقط. أمّا إذا رفض المسيحيّون مجرّد إعادة تقييم قراءتهم لواقعهم في عهد النظام الأسـديّ، فلن يكون هناك أيّ تغيير بنيويّ ملموس في آليّة عيشهم وطبيعة حضورهم في المجتمع السوريّ في المستقبل. ما سينتج عن هذا هو تمسّك أعمى بالهُويّة الدينيّة يشبه تماماً الأصوليّة المسيحيّة القائمة على التشكيك بالآخر وعقدة الأقلّيّات والتورّط في صراعات قوى ومذهبيّات نراه اليوم متمثّلاً في الدرك الأصولي الذي تنحدر إليه المسيحيّة اللبنانيّة (العونيّة تحديداً). ما سينتج عن هذا، كذلك، إمعان في الانعزال والتقوقع والبحث عن مخرج آمن من الوطن، ممّا سيفرّغ الشرق من أهله الأصليّين بأيدي أهله الأصليّين أنفسهم، وليس بالضرورة بأيدي من يعتقد المسيحيّون، في خضم غرقهم المريض في بحر عقدة الأقلّيّات وبعبع الذمّيّة، أنّهم مصدر خطر وليسوا شركاء في الوطن.

في مقالات عديدة سابقة، وجّهت عدّة نداءات للمسلمين السوريّين كي يمدّوا يدهم لأخوتهم المسيحيّين في الوطن ويرسلوا لهم رسالة تطمين وأخوّة في الوطن ويدعونهم للمشاركة معهم في تحرير وبناء سورية جديدة للجميع. اليوم، أوجّه رسالة لأخوتي وأخواتي، لأهلي المسيحيّين السوريّين، بأنَّ عليهم أن يبحثوا عن لعب دور في سورية المستقبل، لا أن ينتظروا أن يقدّم لهم أحد ما الفرصة للعب هذا الدور. أدعوهم لكي نفكّر معاً في ماهيّة وطبيعة هذا الدور الذي يجب علينا كواجب وطنيّ وأخلاقيّ وإنسانيّ أن نلعبه في سورية المستقبل، وأن نقوم بهذا انطلاقاً من إعادة تقييم وتفنيد صريحة وشجاعة وعقلانيّة ونقديّة مفتوحة للتصوّر التقليديّ الذي حملناه أثناء عيشنا خلال الأربع عقود الماضية بأنَّ ضمانة وجودنا هي نظام مثل نظام البعث الأسديّ، الذي لطالما توهّمنا، بأنّه نظام علمانيّ وبأنّه ضَمِن حرّيّتنا الدينيّة لمجرّد أنّنا في عهده لم نتعرّض للاضطهاد.

إنّني أدعـو أهلي، مسيحيّي سـوريـة، للتحلّي بالشجاعة لفحص وتفكيك وإعادة تقييم حقائقيّة تلك النظرية، كيما نتأكّد من أنّنا لا نبني استشرافنا للمستقبل على فرضيّات ومخيالات غير صحيحة ووهميّة عن الماضي. البداية الخاطئة تودّي دوماً لنتائج خاطئة، ومصيرنا المستقبليّ سترسمه تصوّراتـنا عن حياتنا الماضويّة.

أ.د.د. نجيب جورج عوض

الجنود الأطفال في سورية

مقاتلون سحرتهم الطوباويّة الدينيّة والإيديولوجيا بديلاً لواقعهم الكارثيّ

مشاهد الأطفال الذين تُدرّبهم كتائب البعث على حمل السلاح في سورية، لا تختلف كثيراً عن صور أطفال الكتائب الإسلاميّة الذين قالوا: «قد نعيش وقد نموت» وهي العبارة التي اتّخذتها منظّمة «هيومن رايتس ووتش» عنواناً لتقريرها الأخير عن ظاهرة تجنيد الأطفال واستخدامهم من قبل الجماعات المسلّحة في سورية، اختصرت تلك العبارة واقع فئة اجتماعيّة ودينيّة بعينها، نقل التقرير شهادات ٢٥ طفلاً سوريّاً شاركوا بالعمليّات القتاليّة في الصفوف الأماميّة أو بتقديم الدعم والإمـداد، وسقط من التقرير لأسباب أمنيّة وسياسيّة قدرة رصد واقع أطفال الجانب الأخر، الجانب الذي يحمل تقريباً ذات العقليّة والذهنيّة الدينيّة الاجتماعيّة الإقصائيّة، فعناصر تنظيم الدولة الإسلاميّة في العراق والشام «داعش» الذين جنّدوا مراد أحمد حلّاق (١٦عاماً) الملقب بأبو القعقاع كمسؤول أمنيّ في إمارة اعزاز بريف حلب الشماليّ، لا يختلفون عن عناصر فيلق بدر الشيعيّ العراقيّ الذي نعى مقاتله أحمد حيدر عبد العال الوائلي (١٧ عاماً) والذي قضى في سورية. أرقام التقرير تتحدّث عن ١٩٤ طفلاً غير مدنيّين قضوا في سورية حتّى نهاية أيّار ٢٠١٤.

«إمّا وإمّا»

بالطبع، سقوط جزئيّة الإلمام بالجانبين في تقرير المنظّمة الحقوقيّة له أسبابه ومبرّراته. ولكن العين الواحدة لا تكفي لرصد الظاهرة ولا لحلّها. أمّا وضع اليد على المرض ربّما يقود للإجابة عن مجموعة الأسئلة المحيّرة التي تبدأ بـ «لماذا يُقبِل هؤلاء بحماسة على الانخراط بالأعمال العسكريّة؟ وكيف يتمّ تجنيدهم؟ وكيف سيكون مستقبلهم؟ وهل من حلّ لهذه الظاهرة؟ وإن وجد الحلّ فكيف يطبّق؟».

ربّما تكون آليّة البحث بالمحرّكات النفسيّة، إحدى الطرق القويمة للوصول إلى تفسير قريب من الواقع. هنا، يرى أستاذ الصحّة النفسيّة والجنسيّة في جامعة بيدغوش ببولونيا الدكتور بسّام عويل، أنّ سهولة الانضمام لصفوف هذه الجماعات الدينيّة المسلّحة يعود إلـى «المرجعيّة البسيطة والتي لا تحتاج للفهم، يكفي الإيمان وخاصّة عندما يكون الطفل ابن تنشئة دينيّة، وهذا مرتبط أيضا بسيكولوجيّة النموّ المعرفيّ والأخلاقيّ لليافعة، والذي يتّسم بالقطبيّة إمّا وإمّا، أي أبيض أو أسود» وهذا يهوّن على هؤلاء الأطفال الانخراط بالعمل المسلّح مع وجود المبرّرات الاجتماعيّة والاقتصاديّة لأنّهم مستعدّون نفسيّاً له.

«يعيش الطفل قبل البلوغ وعنده صراعات نفسيّة جنسيّة وأزمـات نموّ تجعله أكثر قابليّة للايحاء بالحقائق النهائيّة» ربّما هذه الحقيقة النفسيّة التي يطرحها الدكتور عويل تشرح الآليّة النفسيّة لدفع هؤولاء وجذبهم للإنخراط في العمل العسكريّ الدينيّ المتطرّف «بالإضافة إلى أنّه يسعى لإيجاد ذاته عبر رفض الواقع والتمرّد عليه، وهنا نرى أنّ فسحة الطوباويّة في التفكير أكثر نشاطاً من أيّ فسحة عقليّة أخرى» وترافق ما سبق مع «حال الفقر والعوز حيث يتمثّل معظم الأطفال واليافعين دور المنقذ، وفي حال الألم والحرب وصعوبة تحقيق الحاجات يتمثّل الأطفال واليافعين دور كبش الفداء» وهذا ما يضعهم على طريق السعي نحو المطلق الأبديّ، أي أنّ الطريقين يؤدّيان إلى ذات النتيجة.

فقر مدقع

نظرة خاطفة على خريطة الفقر السوريّ التي أنجزتها الأمم المتّحدة في سورية عام ٢٠١٠ ولم تُنشر أبداً بقرار من النظام السياسيّ، نرقب فيها حلب مركز القتال الكبير اليوم، فنجد أنّ هذه المحافظة التي تشتمل على ١٤٠٧ نقطة سكنيّة، موزّعين على ثمانية مناطق هي أعزاز، والسفيرة، وجبل سمعان، والباب، ومنبج، وعفرين، وعين العرب، وجرابلس. كانت معدّة للانفجار بأيّ وقت ودون وجود عامل موضوعيّ هو الثورة، بل وكانت معدّة للذهاب إلى الخيارات المتطرّفة إذا ما نظرنا إلى واقعها التعليميّ والاقتصاديّ وبالذات مناطق الريف المهملة والبعيدة عن كلّ أشكال العناية الحكوميّة؛ ١٤٠٧ نقطة سكنيّة فيها ١٤ نقطة سكنيّة تصل نسبة الفقر فيها إلى ١٠٠٪، و٦٣٩ نقطة سكنيّة يتراوح الفقر فيها بين ٢٥٪ إلى ٩٩٪، وبعضها غير مصنّف على خارطة الفقر لأسباب تقنيّة، وهذا يوضح سبب انخراط بعض الأطفال بحسب التقرير الحقوقيّ في العمل العسكريّ مقابل المال.

ولكنّ الدكتور عويل يرى أنّ «الاكتفاء التامّ والتخمة لا يلغيان السعي لإثبات الـذات الذي يصبح حافزاً لهؤلاء الأطفال» أمّا عن ماذا بعد الانخراط في هذه الأعمال فيرى أنّ «التشوّه النفسيّ الذي يصيب الأطفال والشباب للأسف لا ينتهي بانتهاء الأزمة، فالشخصيّة عبارة عن مصفوفة لوغاريتميّة تنمو وفق الأسس التي نشأت عليها وأيّ تشويه سيُنتج بالطبيعة تشويهاً آخراً، إنْ لم يتم تصحيح النموّ بالإرشاد والعلاج، ومن المؤكّد أنّ تشوّهات الشخصيّة بمكنوناتها الانفعاليّة يمكن أن تتطوّر إلى حالات نفسيّة مرضيّة خطيرة ومنها ذهنيّة» وهذا يعني «مجتمعاً موغلاً بالمرض النفسيّ» والكلام للدكتور عويل.

أمّـا عن الحلول الممكنة، فهو يرى أنّها واجبة منذ الأمـس وأهمّها «تصحيح نموّ هـؤلاء الأطفال ومساعدتهم أو علاجهم، وهو برنامج طويل الأمد وبحاجة إلى تعاون الكثير من المؤسّسات التربويّة والطبيّة والاجتماعيّة فالإرشاد والعلاج يمكن أن يتمّ بطريق العمل أو تنمية القدرات والمهارات الفرديّة أو بالرياضة وغيرها» وهذا كلّه غير متاح قبل «وقف القتل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ومن ثمّ برامج عمل واسعة يسبقها تجهيز الخبراء النفسيّين والتربويّين والاجتماعيّين، الذين بإمكانهم التعامل مع هذه الحالات وانتاج أفضل الحلول لها ضمن إمكانات الواقع، وبالطبع الأعداد الموجودة من النفسيّين والتربويّين لا تكفي، ومن هم موجودون خبراتهم بسيطة جدّاً وبحاجة إلى تدريب لكسب المهارات» والكلام للدكتور عويل أيضاً.

دكاكين «سياسة»

ما سبق من حلول لم يجد كبير صدى «للأسف كلّ النداءات لم تصل إلى مسامع المموّلين الذين ارتؤوا الدعم والإغاثة المباشرة» هذا مختصر المشهد، ولكنّ المحاولات لم تزل قائمة وهناك بعض التجارب ولكن «للأسف الكثير من المشاريع التي يتمّ الحصول على تمويل لها تنفّذ من قبل غير الخبراء مع أنّي وزملائي نعرض مساعدتنا بشكل دائم، وتبدو هناك مخاوف من أن نكتشف ضعف الخبرة وبالتالي يتمّ الانغلاق على الذات وخاصّة أنّ الثقافة النفسيّة غريبة نوعاً ما عن مجتمعاتنا».

أمّا عن دور المعارضة السوريّة السياسيّة التي تعهّدت بحسب تقرير المنظّمة الحقوقيّة بالعمل على الحدّ من انخراط الأطفال بالقتال لم تقدِم على أيّ فعل حقيقيّ بالمعنى النفسيّ والاجتماعيّ والوقائيّ أو العلاجيّ لهذه الحالات والسبب برأي الدكتور عويل الذي يرى المعارضة السورية عبارة عن «دكاكين سياسيّة يتنفّع منها أصحابها، وبالتالي لا المجلس ولا الائتلاف مهتمّ بالأمر، وأصبح الأمر اليوم أكبر من الفوضى كتوصيف، ولذا فأيّ مشروع لوقف القتل مهما كان الثمن هو أفضل من هذا العبث» يختتم الدكتور عويل كلامه.

جابر بكر

في الخيام وتحت القصف

(واقع التعليم في ريف حلب الجنوبيّ)

كلنا رغم المأساة التي يعيشها الناس في البيئات المحرّرة، استطاع المعلّمون الذين أفرزتهم الثورة وبالتعاون مع الحاضنة الشعبيّة أن تنتج حلولاً

تتعرّض مناطق واسعة في ريف حلب الجنوبيّ، لعدوان مستمرّ من طيران نظام الأسد، ما أدّى إلى تدمير عدد كبير من البلدات والقرى. وكان النصيب الأكبر من القصف والدمار الهائل للمدارس، فقد ركّز طيران الأسد عليها منعاً للطلّاب من متابعة دراستهم، وبالتالي تدمير جيل كامل ببربريّة نظام يستهدف الحياة بكاملها، وأوّلها المدارس.

المدارس أهداف لطيران الأسد

كانت أوّل مدرسة قصفها طيران نظام الأسد في حلب وريفها، هي مدرسة طلافح الواقعة في أقصى الجنوب الغربيّ من ريف حلب، ثمّ تلاها تدمير العديد من المدارس، ومنها مدرسة العيس، ومدرسة الزربة، ومدرستي الحاضر، ومدرسة تلّ الحطابات، ومدرسة البطرانة التي تعرّضت لحرق كامل من عصابات الأسد واللصوص.

في إحدى المعارك التي دارت رحاها في ريف حلب الجنوبيّ، اتّخذت قوّات النظام من المدارس مقرّاً لها ومتاريساً لقنّاصيها، وبعد تحريرها أصبحت وطلّابها هدفاً لطيران الأسد وبراميله المتفجّرة ومدافعه، ومثلها كثير من المدارس والمعاهد والجامعات الخاصّة، كما تحوّلت بعض المدارس إلى مكان سكن للنازحين من مناطق الصراع العسكريّ، وحرم النظام المدارس في المناطق المحرّرة من استحقاقاتها، كما أصبح المدرّسون والمعلّمون عرضة للاعتقال بالطرق التعسّفيّة المعروفة للنظام، إذ اعتقل المئات من الكوادر التدريسيّة، فاضطرّ المعلّمون إلى ترك مدارسهم وراحوا يبحثون عن فرصة عمل أخرى في رحلة شتات مجهولة، كما حُرم الطلّاب في أماكن القصف من التعليم بشكل نهائيّ.

التعليم في ظلّ الثورة

رغم المأساة التي يعيشها الناس في البيئات المحرّرة، استطاع المعلّمون الذين أفرزتهم الثورة وبالتعاون مع الحاضنة الشعبيّة أن تنتج حلولاً تعوّض عن حرمان الطلبة لمدارسهم وإكمال تعليمهم، وانبرى عدد من حملة الشهادات المختلفة للعمل كمتطوّعين في المدارس، في ظلّ ظروف بالغة القسوة على الصعيد الأمنيّ والمادّي والفقر المسيطر.

في الأعوام الأولى من الثورة، تعرّض الكادر التعليميّ لنقص كبير في بعض الاختصاصات، وخاصّة اللغتين الإنكليزيّة والفرنسيّة، والرياضيّات، لأسباب كثيرة، كما أسلفنا، ومنها التحاق عدد من المدرّسين بالجيش الحرّ، فتمّت الاستعانة بمدرّسين من خارج الملاك. أمّا المناهج، فقد اعتُمد المنهاج الحكوميّ، والمنهاج المعدّل والصادر عن وزارة التربية في الحكومة المؤقّتة.

نماذج من التعليم

مدارس تعليم القرآن: بدأ تجمّع عدد من المعلّمين وطلبة العلم الدينيّ بافتتاح مدارس تعليم القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة والحساب، فيما يشبه الكتاتيب في مرحلة سابقة من التاريخ السوريّ، وفي لقاء لنا مع الشيخ «عبد الكريم» الذي يشرف على مدرسة لتعليم القرآن، قال «إنّها تجربة جيّدة رغم المعاناة، وقد استفاد التلاميذ كثيراً نظراً لحرمانهم من التعليم، فحفظوا طريقة تلاوة القرآن الكريم، والكتابة، بطريقة مرنة، وأسلوب يتناسب وأعمارهم». وأضاف الشيخ عبد الكريم «لدينا كادر تعليميّ مقبول من الإخوة المتطوّعين، وقد قامت إحدى الجمعيّات الخيريّة بتقديم بعض الدعم، من لباس وإغاثات عينيّة للتلاميذ،

وتعويض ماديّ للإخوة المعلّمين لا يتجاوز الخمسة عشر ألف ليرة سوريّة».

ويلاحظ انتشار هذه المدارس على نطاق واسع في ريف حلب الجنوبيّ. وتلاقي إقبالاً كبيراً وارتياحاً لدى الأهاليّ، والكثير من هذه المدارس اتّخذت من الخيام مكاناً للتعليم لعدم توفّر البناء.

من الخيام إلى مدارس نموذجيّة

من خلال الزيارات ومتابعة العمل على موضوع التعليم في ريف حلب الجنوبيّ، استطاع بعض نشطاء الثورة التواصل مع منظّمات وهيئات إنسانيّة تُعنى بالتعليم، وافتتحوا مـدارس ثانويّة مرّت بمراحل متعدّدة، بدءاً من الخيام حتّى الانتقال إلى بناء جديد كمدرستي مزارع آباد المحدثة، ومزرعة الشحاذات الجديدة، وازداد عدد الطلّاب من ١٠٠ طالب إلى ٤٠٠ كانوا محرومين من التعليم، ويعود الفضل في ذلك إلى مؤسّسة «بناء» التي بنت المدرستين

النموذجيّتين في ريف حلب الجنوبيّ؛ وما زالت هذه المدارس تعتمد المناهج السوريّة بعد تعديل بعض المواد، حيث نجحت قوى المعارضة باعتماد مناهج تعليميّة جديدة تناسب واقع الثورة، وانحصر التعديل بعمليّة «تنقيح» من خلال إزالة كلّ ما له علاقة بحزب البعث والمجرمين بشّار الأسد وأبوه من مواد التربية القوميّة والجغرافيا والتاريخ.

ولا تزال العمليّة التربويّة في ريف حلب الجنوبيّ تعاني من مصاعب كبيرة أمنيّة ومادّيّة ولوجستيّة.

مصطفى فرحان

التعليم في مدينة الرقّة إلى أين!؟

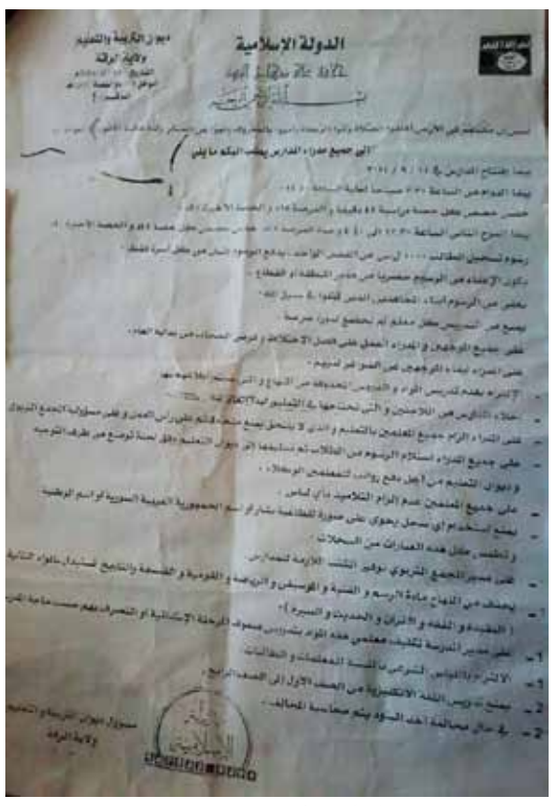

«لكلّ طفلٍ حقّ أصيلٌ في الحياة»

تلك كانت المادّة السادسة من حقوق الطفل، ولكنّ السؤال الذي يطرح نفسه اليوم، هل مازال هذا القانون ينطبق على أطفال سوريّة، أم أنّهم ليسوا كباقي أطفال العالم وليس لهم حقٌّ في الحياة؟!

للحرب كلمة!

عندما تقع المدارس تحت خطّ النار وتتحوّل تلك المقاعد التي كانت تستخدم للدراسة إلى توابيت يدفن فيها الطلّاب، ويسقط السقف فوق رؤوسٍ كان قد بُنيَ ليحميها، دون أن يحرّك أحد لساكن، نكونُ بذلك قد فقدنا جيلاً كاملاً منهم من مات ومنهم من أصيب بعاهةٍ أو بجروح، أو أصيب بأزمات نفسيّة حادّة جرّاء تلك الانتهاكات التي رآها بأمّ عينه، لا وبل مورست عليه أيضاً.

وثّقت الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان استهداف ما لا يقلّ عن ٣٨٧٨ مدرسة خلال السنوات الأربع الماضية، نصفها دُمّرت بشكل كامل، وبعض منها مازال صالحاً للترميم والاستفادة منه، ناهيك عن استهداف الكادر التعليميّ التربويّ، فمنهم من قُتل أو اختُطف أو تمّ اعتقاله أو طرده لأسباب سياسيّة.

في مدينة الرقّة السوريّة، والتي غاب عنها النظام منذ ما يزيد عن السنة ونصف السنة، وببنية تحتيّة شبه مدمّرة وغياب للمؤسّسات العاملة والمديريّات المنظّمة، أعلن تنظيم «داعش» عن بدء عام دراسيّ جديد، ولكن بشكلٍ «داعشيٍّ» جديد!

عامٌ سابق لا يبشّر بالخير!

عندما انتصف العام الدراسيّ الماضي، كان التنظيم قد بسط سيطرته بشكل كامل ومنفرد على الرقّة، ليبدأ عناصره باتّباع مقولة «كلٌ يغنّي على ليلاه!» فتارة تُغلَق المدارس بحجّة تبعيّتها للنظام، وتارة أخرى تُمنع المدرّسات من القيام بأعمالهنّ.

وفي أغلب الأحيان، كانت تُقتحم المدارس وتُفرض العقوبات على المدراء والمدرّسين، أو يُفرض على المدرّسات تغطية وجوههنّ أمام الطلّاب، لتقول إحداهنّ باستنكار: «إنّ التلميذ بحاجة إلى رؤية وجه المعلّمة ليفهم المعاني من خلال التعابير، وليتعلّم مخارج الحروف وطريقة لفظها بسهولة وخاصّة في المرحلة الأولى».

كما منع التنظيم الاختلاط بين الطلّاب من الصفّ الخامس فما فوق، فقال التربويّون في هذا الخصوص «هذه أزمة كبيرة، لأنّ التلاميذ في هذا العمر بحاجة إلى التعرّف على الجنس الآخر حتّى لا تختلط المفاهيم الاجتماعيّة لديهم»، كما فُرض الزيّ الإسلاميّ على الطالبات اللواتي تجاوزن سنّ الحادية عشر، لتعلّق إحداهنّ قائلة «لقد منعونا من حقّنا في اللعب، هذا اللباس ليس مريحاً ولا يسمح لنا بسهولة الحركة».

استطاع التنظيم ضبط هذه القوانين بتسيير دوريّاتٍ تجوب مدارس المدينة، مقتحمة الصفوف ومهدِّدة الأطفال بالجلد والسجن في حال حدوث مخالفات.

عداك عن البرد القارس الذي جاء متزامناً مع غلاء المحروقات، حارماً الدفء من الدخول إلى صفوفٍ خسرت نوافذها جرّاء القصف، أو تحوّلت مقاعدها إلى حطب للفقراء، حيث قالت إحدى المدرّسات «إنّ التلاميذ باتوا لا يتحمّلون كلّ هذا البرد القارس، بل كانوا يبكون كثيراً، أحاول تدفئتهم ببعض التمارين الرياضيّة الصباحيّة، قلبي كان يحترق ولكن ما باليد حيلة».

عن أيّة مدارس يتحدّثون!؟

في تلك المدينة الصغيرة التي تضاعف عدد سكّانها مع توافد النازحين من مختلف القرى والمدن المجاورة، ولسير عمليّة تعليميّة نموذجيّة سيتطلّب الأمر ضعف أعداد المدارس والبُنى التحتيّة، لكن الحرب كان رأيها معاكس لذلك، فمن المدارس من فتحت أبوابها للنازحين، ومنها من تحوّلت إلى مقارٍ عسكريّة للتنظيم كحال مدرسة «أبو ذرّ الغفاريّ» وروضة «السنابل» الواقعتين قرب دوّار باسل غربيّ المدينة، اللتان استولى عليهما عناصر الأخير، كما تمركزوا في بناء مجاور لمدرسة «أبي بكر الرازيّ» الأمر الذي زرع الخوف في قلوب الأطفال وذويهم، والقلق من ضربات طيران التحالف الغربي.

بالإضافة إلى قصف طيران النظام المتكرّر، الذي لا يميّز بين مقرٍّ عسكريّ ومدرسة مدنيّة، ولنا في «ثانوية التجارة» خير دليل حيث تعرّضت للقصف أثناء الدوام الرسميّ ما أدّى لاستشهاد وجرح العديد من تلاميذها وكادرها التدريسيّ.

تقول إحدى المعلّمات معلّقة على حالة الهلع التي أصابت طلّابها «كان التلاميذ يصرخون بشكل رهيب عندما يسمعون صوت الطيران، لا نستطيع سوى تهدئتهم، قدر الإمكان، منتظرين ذهاب الطائرة حتّى تعود الأمور إلى طبيعتها ونكمل إعطاء الدروس».

تعليمٌ على المنهج الداعشيّ

مع نهاية الصيف وقدوم العام الدراسيّ الجديد، سمح التنظيم بافتتاح المدارس والبدء بالعمليّة التعليميّة مع فرض مجموعة من القوانين والقرارات التي وزّعت ورقيّاً على كافّة المدارس، وأيّة مخالفة من هنا أو هناك، قد تُنهي حلم الطفل التعليميّ بقرارٍ ليس من وليّ أمره، بل من وليٍ نصّب نفسه أميراً عليهم، وسنّ قوانيناً منها:

- يبدأ الدوام اليوميّ عند السابعة والنصف بدلاً من الثامنة صباحاً، وبعطلة أسبوعيّة تكون يوميّ الخميس والجمعة بدلاً من الجمعة والسبت.
- يُفرض على كلّ تلميذ رسمٌ للتسجيل وقيمته ألف ليرة سوريّة للفصل الواحد، تُدفع عن شخصان من كلّ أسرة ويُعفى منها أبناء «المجاهدين».
- يُفرض على كلّ مدرّسٍ ومدرّسة حضور دورة شرعيّة يقدّمها أحد مراكز التنظيم، ويُمنع أيّ مدرّسٍ من القيام بعمله في حال عدم حصوله على شهادة إتمام الدورة.
- يُفرض على جميع المدرّسات ارتداء الحجاب الشرعيّ الكامل داخل المدرسة والمتمثّل بالعباءة، النقاب، والكاب «الدرع».
- يُمنع على المعلّم تدريس المواد التي قام التنظيم بحذفها من المنهاج سابقاً، وهي التاريخ، الفلسفة، التربية القوميّة، الرسم، الموسيقى والرياضة.
- استبدال المواد المحذوفة بمواد الفقه، الحديث، السيرة، القرآن والعقيدة.
- تُمنع المدارس من تدريس مادّة اللغة الإنكليزيّة للتلاميذ ما بين الصفّ الأوّل والرابع للمرحلة الابتدائيّة.

تلك القوانين الجائرة حالت دون إرسال معظم الأهالي لأطفالهم إلى المدارس ولأسباب أخرى، تقول «أمّ محمّد»: «كيف لي أن أدفع رسوم المدرسة عن أطفالي الأربعة، ونحن لا نملك ثمن خبز لنأكله»، كما يوضح السيّد «علي» الوافد من مدينة حلب والأب لطفلين «بدلاً من إرسال أبنائي إلى المدارس في هذا الجوّ المرعب والرسوم التي لا أقدر عليها، أفضّل أن أصطحبهم للعمل معي حتّى يعيناني على مصروف الحياة».

للأسف هذا ما بدأ يحدث فعلاً، فالكثير من الأطفال تركوا مقاعدهم الدراسيّة والتحقوا بالعمل لمساعدة أهاليهم، بعد أن أوشك الفصل الأوّل على الانتهاء والمدارس لم تقف على أقدامها بعد!

مدينةٌ باتت تكتسي السواد عباءةً لها، ومستقبل مظلمٌ ينتظر أطفالاً لم يحصلوا على أبسط حقوقهم، فمتى سيفتح حكّام العالم أعينهم ويدقّون ناقوس الخطر لإنقاذ جيلٍ سوريٍّ كاملٍ من الضياع المحتّم!

عُبادة عبدالسلام

ضحايا الأسعار، إنْ وجد الدواء!

بعد دخول الثورة السوريّة عامها الرابع، مازال المواطن في سوريّة يُفرض عليه دفع فواتير عديدة، سببها الفوضى وعدم التنظيم وغياب الرقيب ومن هذه الفواتير «الفوضى الدوائيّة» وفوضى انتشار الصيدليّات العشوائيّة، ناهيك عن الفاتورة الأكبر التي يدفعها نتيجة وحشيّة النظام، حيث شهد القطاع الصحيّ في سوريّة فوضى عارمة خلال السنوات الماضية، فقد عانى المواطن من ارتفاع حادّ بأسعار الأدوية نتيجة جشع أصحاب الصيدليّات وتجّار الدواء الذين لم يراعوا فيه لا ذمّة ولا ضميراً، ممّا أثقل كاهله بالمصاريف الزائدة، وكان على المواطن أن يدفع ثمن جهل أصحاب الصيدليّات بسبب صرف الوصفات الخاطئة بعد أن أصبحت مهنة من لا مهنة له.

أين الرقابة؟

صحيفة «كلنا سوريّون» التقت مع عدد من المواطنين في ريف حلب الشماليّ، الذين عبّروا عن استيائهم من هذا الارتفاع غير المقبول في ظلّ هذه الظروف الصعبة؛ «أبو مصعب» الذي صادفناه أمام إحدى الصيدليّات (٥٠ عاماً) قال: تشهد

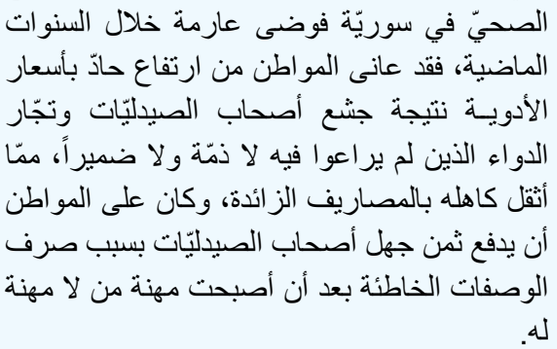

معظم الصيدليّات المنتشرة في المناطق المحرّرة ارتفاعاً «جنونيّاً» بأسعار الأدوية ممّا أثقل كاهلنا بالمصاريف، وأضاف أبو مصعب، كما أنّ هناك تفاوتاً كبيراً بالأسعار بين كلّ صيدليّة وأخرى، دون أن يكون هناك أيّ رقيب أو حسيب. وأفادنا مواطنون بأنّ: الصيدليّات تعاني من فقدان أصناف هامّة من الأدوية، كأدوية «السرطان والجلطات وأدوية الضغط والسكّر» قياساً للصيدليّات الموجودة في مناطق النظام.

أمّا «أنس» وهو طالب جامعيّ، فقد اشتكى من عدم وجود اختصاصيّين بهذا المجال حيث أصبحت الصيدلة كمهنة «السمّان» وبعض أصحاب الصيدليّات لا يعرف صرف وصفة الطبيب، وهذا كلّه دون رقيب أو حسيب من أيّة جهة. و «عليّ» مريض بحاجة إلى أدوية جلطة (مُميّعات دم، و..) بشكل دائم، قال: توجد مجموعة من الأصناف – إنْ توفّرت - غير خاضعة للرقابة، ولا يوجد أيّ رقيب على التجّار وأصحاب الصيدليّات.

فوضى الأسعار

عن هذا الموضوع وزيادة في التفاصيل، يحدّثنا الدكتور محمّد قائلاً: هناك توزّع بمعامل الأدوية منتشرة بين مناطق سيطرة النظام ومناطق سيطرة الثوّار فالأدوية المنتشرة في المناطق المحرّرة هي من المعامل الموجودة ضمن مناطق الثوّار حصراً حيث يمنع النظام وصول الأدوية إلى هذه المناطق.

وأضاف الدكتور محمّد: أنّ الأدوية الموجودة في الأسواق حاليّاً لا أحد يعرف كيفيّة تصنيعها وتركيبها، هل هي تخضع للرقابة الدوائيّة، وهل يتمّ تحديد تسعيرة دوائيّة من أيّة جهة؟ هذا كلّه يتمّ دون أيّة مراقبة من أيّة جهة كانت! وعن فوضى الأسعار، قال الدكتور محمّد: هناك فوضى عارمة في هذا المجال والسبب غياب الضمير من أصحاب الصيدليّات والرقيب من الجهات المختصّة في المناطق المحرّرة، أمّا عن واقع انتشار الصيدليّات غير المرخّصة، فأشار الدكتور محمّد: عمل الصيدليّة هو مهنة يعمل بها ذوي الاختصاص في هذا المجال ولكنّها اليوم أصبحت مهنة من لا مهنة له، حيث يوجد تجاوزات كبيرة في هذا المجال، فأصبح كلّ شخص يفتتح صيدليّة دون الحصول على ترخيص أو الخضوع للمعايير الاختصاصيّة في هذا المجال، والسبب كلّه غياب الرقيب والحسيب وتخلّي كلّ الجهات المسؤولة بتكليف نفسها بمتابعة هذا الموضوع ووضع ضوابط له.

وأضاف الدكتور محمّد: نتيجة هذه الفوضى تحدث أخطاء من أصحاب الصيدليّات عبر الوصفات تصل إلى ١٠٪ وتصل الأخطاء في الوصفات المباشرة التي تُصرف من صاحب الصيدليّة إلى ٨٠٪ وهذا كلّه يدفع فاتورته بالنتيجة المواطن، ومتابعة لهذا الموضوع التقت صحيفتنا «كلنا سوريّون» بالصيدليّ «أحمد أحمد» فحدّثنا قائلاً: إنّ أسباب هذه الفوضى هو عدم وجود الرقابة من الجهات المسؤولة في المناطق المحرّرة تجاه أصحاب الصيدليّات بالإضافة لعدم قيام هذه الجهات المسؤولة كالهيئة الشرعيّة ومجلس المحافظة بوضع معايير لهذه المهنة والسماح لمن يجتاز المعايير بفتح صيدليّة.

وأضاف الصيدليّ «أحمد» هناك مشاكل أخرى تواجه الصيدليّات هي عدم توفّر الأدوية بشكل مستمرّ، وخاصّة لأنواع عديدة، كما تواجه الصيدليّات مشكلة ارتفاع الأسعار من المستودعات، والتي تقوم بتوزيع الأدوية للصيدليّات، ويعلّل أصحاب المستودعات السبب هو ارتفاع أجور المواصلات وتباعد الطرق، وأشار «أحمد» أنّ انقطاع الكهرباء بشكل دائم يسبّب لنا مشاكل كبيرة وهي عدم قدرتنا على وضع أدوية مهمّة ومطلوبة كونها تحتاج إلى ثلّاجات مثل «الأنسولين».

في النهاية، المواطن هو من يدفع الثمن، وهو الضحيّة نتيجة كلّ خطأ يحدث والسبب الجهة المسؤولة التي نصّبتْ نفسها على المواطن دون أن تحقّق له أدنى المطالب.

بدر حسين

روسيا والأسد في الميزان الاقتصاديّ

هل اقتربت بداية النهاية؟

الجميع يعلم أنّ أعظم قوّتين في العالم هما روسيا و الولايات الأمريكيّة المتّحدة، وقد شنّوا صراعات كثيرة، لعلّ من أشهرها الحرب الباردة التي بدأت في نهاية الأربعينات وانتهت في أوائل التسعينات، وكانت نتيجتها تفكّك القوّة العظمى للاتّحاد السوفيتّي ليصبح عدّة دول بعد أن كانوا متّحدين وكانت الحرب الباردة بين القوّتين تتمثّل في حرب اقتصاديّة واجتماعيّة وعسكريّة، ولكنّها لم تصل إلى المواجهة المباشرة بين القوّتين بسبب علم كلا الطرفين أنّها ستنهي العالم بسبب وجود الأسلحة النوويّة، ومن أبرز هذه المواجهات حرب فيتنام والغزو السوفيتّي لأفغانستان وكذلك أزمة الصواريخ في كوبا؛ وعندما أنهى الطرفان تلك الحرب واستطاعت الولايات المتّحدة أن تبسط يدها على أكثر من نصف العالم ومن ضمنها الشرق الأوسط مستبعده كلّاً من ليبيا والعراق وسورية، الذين ظلّوا تابعين لروسيا.

لكن، وبعد حرب العراق وسقوط نظام صدّام حسين كانت بداية لحرب باردة ثانية، حيث استغلّت الدولتان الربيع العربيّ لتبسط كلّ من القوّتين يدها على المنطقة، فبعد ثورة تونس ومصر أتت الثورة الليبيّة التي أطاحت بالقذافي، وكانت السبب في خسارة روسيا لأكثر من أربعة مليارات دولار على شكل صفقات سلاح، بعدها أتت ثورتنا الكريمة ضدّ الطاغية بشّار الأسد، وكان هذا النظام صادقاً في جملتين الأولى (هذه مؤامرة عالميّة كونيّة على سورية) أي أنّ جميع دول العالم تآمروا على تحطيم ثورتنا التي خرجت في وجه نظام الأسد، وكانت الثانية (الأسد أو نحرق البلد) وصدق وقام بتدمير أكثر من (٧٠٪) من البنية التحتيّة وشرّد أكثر من تسعة ملايين سوريّ. كلّ هذا كان مدعوماً بقوّة روسيا، والتي لم يعد لها قاعدة في الشرق الأوسط سوى سورية، ولكنّ روسيا لا يهمّها الأسد ولا غيره كلّ ما يهمّ روسيا هو أن يكون لها نقطة في الشرق الأوسط وأن يتمّ شراء السلاح منها، وهي التي تعتبر ثاني أكبر دولة في العالم في إنتاج السلاح، ومن البديهي أن تضع كلّ قوّتها في الحفاظ على نظام ٧٨٪ من أجماليّ مشترياته للسلاح منها والتي تفوق الملايين من الدولارات بل المليارات، ولدى روسيا أيضاً استثمارات اقتصاديّة تقدر بعشرين مليار دولار، وأهمّ المجالات الاقتصاديّة المدنيّة التي تخدم المصالح الروسيّة في سورية مجال التنقيب عن النفط والغاز وانتاجهما، حيث نجد شركتي تاتنفت وسويوزفت غاز، الروسيّتين تقومان حاليّاً باستخراج النفط في سورية، وتنخرط الشركات الروسيّة في تنفيذ مشروعات أخرى في مجال الطاقة بما في ذلك الخطط التي أعلنتها شركة روساتوم الروسيّة في ٢٠١٠ لبناء أوّل مفاعل لإنتاج الطاقة النوويّة والخدمة المستمرّة من شركة روسيّة لمرافق إنتاج الطاقة التي أقامتها في سورية، ولمَ لا تتمسّك به ولديها في محافظة طرطوس قاعدة بحريّة عسكريّة كبيرة جدّاً لتكون منفذاً لها للشرق الأوسط مستفيدة من الموقع الجغرافي لسورية، كلّ هذا لروسيا في سورية، فمن سوف يضمن لها هذا المال؟! روسيا اليوم، ومن خلال عدّة لقاءات أجرتها مع عدد من المعارضين السوريّين، تريد أن ترسل رسالة بأنّها لا تريد أن تخسر كلّ تلك الأموال ولا أن تخسر سورية كحليف لها وأنّها لا تهتمّ بوجود الأسد، والتي كانت قد قدّمت العديد من النصائح له أن يقوم بحوار مع معارضيه، روسيا اليوم، متململة من نظام الأسد والذي بات خاتماً في إصبع إيران، الأمر الذي جرّ روسيا لتخسر الكثير من قيمتها وحضورها دوليّاً خصوصاً بعد صمتها المجبر أمام قرار ضرب «داعش» في سورية وتجاوزها وعدم دعوتها للاشتراك به، وهنا يظهر أنّ المستفيد الأكبر من إنهاء الحرب في سورية على طريقة سلميّة سياسيّة هو روسيا، ولن نفاجأ إنْ قامت بطلب انعقاد جنيف٣ وبشكلٍ سريع، وأن تقدّم الكثير من التنازلات، فذلك سوف يكون مثل الضمان لها أنّ استثماراتها وعقودها التي أجرتها مع نظام الأسد باقية ولن تلغى، على عكس سقوطه عسكريّاً والذي سيكون سبباً لإلغاء كلّ العقود والديون والاتفاقيّات التي جرت مثل الحال في ليبيا بعد القذافيّ.

إذاً، فروسيا ترى في سورية قلعتها الأخيرة في الشرق الأوسط بعد أن خسرت حضورها فيه، ويبدو أنّها غير مستعدّة للتنازل عن سورية وستسعى لتحقيق تسوية عالميّة على غرار ما حصل نهاية الحرب العالمية الثانيّة بشكل يرضي مصالحها، حتّى ولو كان الثمن التخلّي عن بشّار الأسد.

أمير نجم الدين

الشاعر المعتقل

ناصر صابر بندق شاعر من مدينة السويداء، اقتحمت قوّات من فرع الأمن العسكريّ منزله في صباح ٢٠١٤/٢/١٧، وقامت بتحطيم الموجودات واعتقلته، كما قامت باعتقال ثلاثة أشخاص من منطقة صحنايا في ذاك اليوم، أُطلق صراح اثنين منهم وسُلّمت جثّة الثالث الشهيد «مروان حاصباني» بعد فترة قصيرة من الاعتقال لذويه.

فريزة جهجاه بندق زوجة ناصر بندق التي تعيش في الخارج، قالت لمنظّمة العفو الدوليّة: إنّ أحد معارفها في الحيّ أخبرها أنّ أفراد الأمن السوريّة الذين يُعتقد أنّهم من المخابرات العسكريّة وصلوا إلى منزل ناصر في ضاحية صحنايا الدمشقيّة حوالي الساعة ٦,٣٠ صباحاً في ١٧ شباط وألقوا القبض عليه وكسروا بعض الموجودات في المنزل، كما أفاد معتقل أُفرج عنه أنّه رأى ناصر بعد وقت قصير من اعتقاله في فرع المخابرات العسكريّة ٢٢٧ في دمشق منذ ذلك الحين لم تتلقَ زوجته أيّة معلومات عن مكان وجوده، على الرغم من أنّ مصدراً غير رسميّ أخبرها في أواخر نيسان ٢٠١٤ أنّه بخير.

إنّ الأسباب الدقيقة لاعتقال ناصر بندق غير معروفة وقالت زوجته لمنظّمة العفو الدوليّة: إنّه يشارك في أنشطة المساعدة الإنسانيّة، مثل مساعدة النازحين داخليّاً وفريزة جهجاه بندق ناشطة سياسيّة سلميّة ومن المعروف حضورها في المظاهرات وقد هربت مع أطفالها خوفاً من الاعتقال وذلك قبل القبض على زوجها.

ممّا كتبه الشاعر ناصر:

انتعل ذاكرة النمل علّه

يقتفي هجرة البيادر

لكنّ رياح الغريب

لا يميّز الدروب

معتقلينا للوطن وليسوا للسجون، الحريّة للشاعر الإنسان ناصر بندق.

تحدّيات النموّ الاقتصاديّ في المستقبل

ما هي التحدّيات التي سنواجهها في المستقبل؟

ما هي العوامل التي تؤدّي إلى النهوض الاقتصاديّ والإصلاح الهيكليّ المتوازن والمنوّع؟

وما هي الاختلالات في الهيكل الاقتصاديّ ومواطن الضعف والقوّة وخاصّة المتعلّقة بالسياسة الماليّة والنقديّة؟

تحدّيات النموّ الاقتصاديّ:

١_ تتوفّر في سورية مقوّمات ومصادر نهضة حقيقيّة وتتمثّل بسعة الموارد الطبيعيّة الغنيّة والمتنوّعة على امتداد المساحة الجغرافيّة بدءاً من الموارد النفطيّة الى المائيّة والثروات المعدنيّة بالإضافة إلى موارد المغتربين والموارد البشريّة المتوفّرة بأعداد هائلة، لذلك فإنّ استثماراً سليماً وإدارة فعّالة لهذه الموارد، من شأنهما أن يساعدا سورية على اجتياز المرحلة الانتقاليّة التي ستمرّ بها ولتوجد مكاناً لنفسها كبلد من فئة الدخل المتوسّط في البداية، وهي المرحلة الهادفة للانتقال من الاقتصاد الشموليّ إلى الاقتصاد الحرّ والمنفتح على الاقتصاد العالميّ وفق ضوابط وأسس ومعايير وسياسات اقتصاديّة تصون المصالح الوطنيّة.

٢_إنّ بلوغ هذا التحوّل يتطلّب النجاح في عدّة أمور منها:

أ_تسوية النزاع الداخليّ واستعادة الأمن والاستقرار والتقدّم في عمليّة إعادة التأهيل والتنمية الشاملة وبخاصّة إصلاح البنى التحتيّة وتحديث الهياكل الاقتصاديّة والإفادة من آخر التطبيقات والمبتكرات العلميّة والتقنيّة الحديثة.

ب_التقدّم في انجاز الاصلاحات الاقتصاديّة والانتقال من اقتصاد تسيطر عليه الدولة، إلى اقتصاد حرّ بشكل تدريجيّ مدروس بقيادة القطاع الخاصّ والسعي نحو زيادة النمو الاقتصاديّ وتشجيع الاستثمار وتوسيع حجم الاقتصاد الوطنيّ.

ت_ تنويع الاقتصاد الوطنيّ وتوسيع موارد الدخل، من خلال تطوير القطاعات الانتاجيّة والخدميّة الأساسيّة كالصناعة والتجارة والسياحة وخلق مقوّمات لزيادة الصادرات غير النفطيّة والنفطيّة (البحث والتنقيب عن مصادر جديدة وخاصّة الغاز الطبيعيّ)

٣_إنّ هذه المهمّات والتحدّيات تطرح بإلحاح الحاجة إلى خيارات مُجدية على صعيد السياسات العامّة، والانطلاق من رؤية اقتصاديّة متكاملة ذات أولويّات استراتيجيّة واضحة تستند إلى أسس ومنهج يحسب كامل الحساب لخصائص وامكانات الاقتصاد الوطنيّ السوريّ، ويؤدّي ذلك إلى تحديد مجالات التركيز على صعيد البرامج والسياسات العمليّة من حيث الأهداف والآليّات تشمل المجالات التالية:

أ: تطوير الطاقّة الانتاجيّة لقطاع النفط والغاز وتوسيع أشكال الاستثمار بما يكفل وجود فائض للتصدير وسدّ الحاجات إلى مستويات جيّدة (البحث والتنقيب وخاصّة في البحر)

ب: تطوير القطاعات الاقتصاديّة غير النفطيّة تمهيداً لخلق اقتصاد متنوّع ومتوازن، يكفل اشباع حاجات السوق المحلّيّة من المنتجات الزراعيّة والصناعيّة والخدميّة ويفتح الطريق لتوجيه الاقتصاد نحو التصدير.

ت: خلق بيئة استثماريّة ملائمة عن طريق إصلاح الأطر المؤسّسيّة والقوانين في مجالات المال والتجارة والمصارف والتأمين وسواها، والسعي إلى تنظيم قانون استثمار جديد يتلاءم مع الأوضاع الجديدة ومعطياتها ويكسب جذب رؤوس الأموال من الخارج.

٤ _ إنّ مشكلتيّ البطالة والفقر تشكّلان عائقاً أساسيّاً أمام النموّ الاقتصاديّ، وهما تبلغان نسبة عالية كما هو معلوم، وممّا يزيد تفاقم هذه التظاهرة، التشوّهات التي ستكون موجودة في سوق العمل - والتي هي أصلاً بحاجة إلى تنظيم – وأبرزها: قلّة فرص العمل، وتزايد عدد الوافدين إلى هذا السوق. الأمر الذي يتطلّب معالجة لهذا الاختلال بصورة جدّيّة ومهنيّة، وخارج إطار البطالة المقنّعة.

٥_ اعتماد استراتيجيّة فعّالة لتنمية القطاع الخاصّ، فلا يمكن للمرحلة الانتقاليّة باتجاه اقتصاد السوق أن تبلغ أهدافها دون أن تعالج هذه المسألة، وبما يكفل تبوُّء القطاع الخاصّ دوره القياديّ في الاقتصاد الوطنيّ، وهي مهمّة ترتبط ارتباطاً مباشراً بإصلاح القطاع العامّ عن طريق التأهيل وفق معايير الجدوى الاقتصاديّة بالإضافة إلى المضيّ لتطوير بنية الاستثمار وسوق العمل.

٦_الاهتمام بالبعد الاجتماعيّ بما يكفل تحسين دخول الغالبيّة الساحقة من المواطنين ورفع مستوى معيشة السكّان وتوفير الخدمات الاجتماعيّة والصحّيّة والثقافيّة وسواها من المنافع التي تعود بالخير على الفئات الضعيفة من المواطنين أي الجمع بين زيادة النموّ الاقتصاديّ والمساواة الاجتماعيّة على أسس عادلة وعصريّة.

٧_ الأهمّ والأساسيّ لخلق اقتصاد جديد هو النجاح في الاصلاحات الاقتصاديّة كإصلاح السياسة الماليّة والنقديّة واستحداث قوانين جديدة في مجال التجارة والمصارف والعمل وغيرها والأهمّ هو السعي إلى عدم وجود اختلال في الموازنة العامّة للدولة وتقليص الإنفاق العامّ وتنويع مصادر التمويل.

٨_ المعونات الخارجيّة لها أهمّيّة خاصّة في تمويل الفعّاليّات الاقتصاديّة وإعادة الإعمار، لذلك يجب أن تُشكّل لجان للمتابعة والإشراف ضمن رؤية مشتركة بين الاقتصاديّين السوريّين والدول والمؤسّسات المانحة وهي مهمّة كبيرة على صعيد السياسة الاقتصاديّة.

٩_ من أبرز معوّقات الإصلاح الاقتصاديّ الوطنيّ هو الفساد فقد كان الآفة التي بدّدت جزء كبير من ثروتنا الوطنيّة وأظهر حجم الضعف الحقيقيّ لجميع المؤسّسات فلا بدّ من سنّ القوانين اللازمة وتعزيز عمل الجهات الرقابيّة الثوريّة لحماية موارد البلاد وحقوق المواطنين.

١٠_ إنّ هذه المهمّات والتحدّيات الكبيرة المستندة إلى رؤية اقتصاديّة مستقبليّة واضحة وآليّات وأدوات تنفيذ فعّالة على صعيد الحكومة وقطاع رجال الأعمال، فضلاً عن دعم حقيقيّ من جانب الدول والمؤسّسات المانحة، ستفتح آفاقاً عريضة لخلق اقتصاد وطنيّ فعّال ومتوازن، ويجب أن تكون السياسة الماليّة للدولة المتمثّلة فعليّاً في الموازنة العامّة في مقدّمة المهامّ الواجب دراستها لصوغ استراتيجيّة وطنيّة شاملة.

د. محمّد حاج بكري

كسر «التابوهات» الثلاثة

كلنا انتشرت ظاهرة المساكنة (كمثال عن التحرّر الجنسيّ) بين السوريّين القاطنين في تركيا. والأمر يكاد ينطبق على السوريّين المنتشرين في أنحاء أوروبا

طفت على السطح ظواهر عديدة فيما بعد بدء الثورة، وفيما تباينت ردود الأفعال حول هذه الظواهر ما بين مشجّع ومستنكر وغير مبالٍ بها، لا تزال الأغلبيّة تغضّ بصرها عنها وتنكر وجودها بشكل فعليّ. ونظراً لأهمّيّة موضوع التحرّر الدينيّ الذي طرأ كنتيجة أو كتبعيّة للثورة، ونظراً لما للناحية الجنسيّة من أهمّيّة في المجتمع والحياة بشكل عامّ، أعتقد أنّنا بحاجة إلى دراسة هذه الظاهرة التي تبدو واضحة جدّاً لدى السوريّين في تركيا.

انتشرت ظاهرة المساكنة (كمثال عن التحرّر الجنسيّ) بين السوريّين القاطنين في تركيا. والأمر يكاد ينطبق على السوريّين المنتشرين في أنحاء أوروبا، سواء كانت المساكنة تحدث بين سوريَّين اثنين، أو بين سوريّ وآخر غير سوريّ، ومن المهمّ الإشارة إلى أمور عديدة ساعدت في انتشار هذه الظاهرة، كخروج الشباب (أي الفئة الشابّة من الجنسين) من تحت عباءة العائلة وتحرّرهم من التقاليد المفروضة بالشكل العامّ، سواء من الناحية الاجتماعيّة أو الأسريّة، وعدم تحفّظ المجتمعات الأوربيّة والمجتمع التركيّ في أمور كهذه وتقبّلها في المجمل العامّ، وغياب الشعور بالمراقبة، حيث بات السوريّ متحرّراً نوعاً ما من المعارف والأقرباء ووجد نفسه غريباً بشكل شبه كامل باستثناء بعض الأصدقاء في مكان حياته الجديد.

المثير للانتباه هو ردود الفعل المثارة حول هذا الموضوع بالذات، ومن الطبيعيّ جدّاً أن تكون أقوى من تلك التي أثيرت حول ظواهر أخرى - كالإشهار بالإفطار في رمضان - وغيرها من الظواهر الحديثة التي طرأت على المجتمع السوريّ، حيث يمكن أن يُفهم هذا الأمر، وذلك لما يكتنف الأمور الجنسيّة من تحريم مضاعف (دينيّ واجتماعيّ)، ولذلك فإنّ أغلب ردود الفعل جاءت بشكل مستهجن لها ووسمتها بالدعارة والانفلات الأخلاقيّ، ورغم وجود ردود فعل إيجابيّة تجاهها إلّا أنّ الأكثر انتشاراً هي السابقة. والمهمّ في هذه الظاهرة هو كنهها، والتساؤل حول: كيف ظهرت بشكل سريع جدّاً وانتشرت بين الشباب السوريّ؟ أي، هل ظهرت كردّ فعل على ظروف اجتماعيّة ونفسيّة خاصّة، أم هي ظاهرة كامنة استغلّت الظروف للبزوغ إلى السطح؟ أي، هل التحرّر الجنسيّ هو تحرّر ظاهريّ وليس أكثر من فقاعة فارغة، أم هو موجود منذ زمن أبعد من الآن ويمدّ جذوره في الفترات السابقة للثورة؟

يمكننا أن نلاحظ، أنّها ظهرت كردّ فعل قويّ ضدّ العجز المسيطر بشكل عام حاليّاً، وكرفض للتطرّف الدينيّ الحادّ المنتشر بقوّة، ويمكننا القول إنّها موجة ظهرت كردّ فعل على الأحداث السياسيّة والنواحي الاجتماعيّة والدينيّة وحتّى النفسيّة العامّة والخاصّة أيضاً، ولكن هذا لا ينفي وجودها بشكل كامن، ولكن بأقلّ حدّة بشكل كبير عن كونها "موجة" حيث عُرفت عدّة حالات للمساكنة في مدينة حلب قبل بدء الثورة وبداياتها، كما نجدها منتشرة بشكل ملحوظ في دمشق، ورغم عدم تعارض هذه الظاهرة مع جوهر الزواج في الدين الإسلاميّ، إلّا أنّه مرفوض دينيّاً ولأسباب مختلفة، وحيث أنّ من أهمّ شروط الزواج هو الإشهار، فإنّنا نجد هذا الشرط محققّاً تماماً في المساكنة، وأنّ غياب عقد الزواج في المحكمة لا يتعارض مع الدين، حيث توجد الكثير من حالات الزواج غير مثبّتة في المحكمة، وبذلك أيضاً هي غير متعارضة مع الدين، وموافقة وليّ الأمر أمر محبّذ من الناحية الدينيّة، ولكنّ عدم وجوده لا يُبطل الزواج، ووجود الشيخ هو وجود رمزيّ لمباركة الزوجين ليس أكثر، وبذلك نجد أنّ الرفض الدينيّ لهذه الظاهرة لا يرتبط بجوهر الدين، وإنّما هو متعدّ عليه، حيث لم تكن هذه الظاهرة موجودة في زمن السلف، ورغم وجود ظواهر جنسيّة كانت مقبولة اجتماعيّاً ودينيّاً حينها - كمُلك الأيمان والجواري - حيث كانت الممارسات الجنسيّة مباحة دون وجود عقد زواج أو ما يوازيه حينها، لذلك فإنّه بوسعنا استنتاج أنّ رفض هذه الظاهرة طارئ على الدين وليس من جوهره ويمكننا أن نتكهّن أسباب مختلفة كامنة وراء هذا الرفض أهمّها أنّ الجواري والمملوكين هي متاحة للرجال وبالتالي فإنّ هذه الحريّة الجنسيّة المتاحة حينها كانت متاحة للذكور دون الإناث، أمّا المساكنة فهي تتيح المجال الجنسيّ للجنسين، ويمكننا اعتبار هذا السبب من أهمّ الأسباب إضافة إلى رمي عباءة الدين فوق الغايات والأهداف السياسيّة، الأمر الذي أدّى إلى تحريم الكثير من الأمور هي غير محرّمة حقّاً.

يُعتبر التحرّر الجنسيّ مرتبطاً بالتحرّر العامّ، الدينيّ والاجتماعيّ والسياسيّ، وهي أمور تؤثّر في بعضها البعض بشكل تلقائيّ ومباشر، ولذا لا يمكننا استغراب المحاولات في كسر التابوهات الثلاثة بمجرّد محاولة تغيير نظام سياسيّ، وبوسع القارئ أن يُدرك الفارق ما بين التحرّر الجنسيّ كتحرّر حقيقي وما بين الانحلال الجنسيّ، حيث أنّ الانحلال متواجد بشكل دائم بغضّ النظر عن وجود التحرّر الجنسيّ أو عدمه، وهو أمر يمكن تمييزه بوضوح عن فكرة التحرّر بحدّ ذاتها.

ريم الحاج

أطفال سورية في نيران الحرب المشتعلة

كلّنا سوريون - عدسة عبد إدلب

عُرّف الطفلُ حسب اتفاقيّة حقوق الطفل التي اعتمدتها الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة (بموجب قرارها المرقّم ٢٥/٤٤ المؤرّخ في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٨٩) في مادّتها الأولى، بأنّه كلّ إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة، ونصّ المبدأ الثاني أنّه يجب أن يتمتّع الطفل بحماية خاصّة، وأن يُمنح الفرص والتسهيلات اللازمة لإتاحة نموّه الجسميّ والعقليّ والخَلقيّ والروحيّ والاجتماعيّ، نموّاً طبيعيّاً سليماً في جوّ من الحرّيّة والكرامة، وتكون مصلحته العليا محلّ الاعتبار الأوّل في سَنّ القوانين لهذه الغاية.

كذلك نصّ المبدأ العاشر بأنّه يجب أن يُحاط الطفل بالحماية من الممارسات الوحشيّة والحروب التي لا تحمل في أحشائها سوى الألم والموت والمعاناة للأنفس البريئة.

هناك ما نشاهده وما لا نشاهده

فما نشاهده هي تلك الصور المؤلمة للمصابين والقتلى والدمار، وقد يكون الزمان كفيلاً بتجاوزها ونسيانها، ومالا نشاهده ولا يمحوه الزمن هو الأثر النفسيّ الذي ستتركه هذه الحرب في داخل كلّ مَن عاصرها وعايش الرعب والقلق وفقد عزيزاً أو قريباً أو منزلاً يستظلّ بظلّه ليجد نفسه في العراء، فالسلاح الأشدّ فتكاً في هذه الحروب هو تدمير التوازن النفسيّ للمدنيّين وعلى وجه الخصوص الأطفال.

إنّ التجارب المؤلمة والمفاجئة والأحداث القاسية التي يسمعُ بها الأطفال في سورية أو يشاهدها أو يعيشها تزعزع نموّهم الجسديّ والاجتماعيّ والنفسيّ، فتظهر ردود فعلٍ عنيفة تجاهها تختلف باختلاف شخصيّة كلّ طفلٍ وعمره وجوّه العائليّ والحدث الذي تعرّض له، لكن عموماً، تتشابه آثار النزاعات المسلّحة على الأطفال: كالضياع، الاغتراب، الخوف، الرعب، الغضب، الضغط النفسيّ، وعدم الشعور بالحماية والأمان والثقة، بالإضافة إلى اضطرابات مختلفة في النوم والأكل والحركة، فضلاً عن الآلام الجسديّة المتنوّعة. هذا وقد تتزايد حِدّة هذه المشاعر أكثر إذا لم يتلقَّ الأطفال الدعم اللازم لمواجهة التغيّرات والظروف الجديدة، وفي الوقت ذاته تصبح انفعالات الأطفال غير عاديّة عندما تشتدّ حدّة النزاعات «فأطفال المناطق التي تتعرّض للقصف والتهجير تختلف عن الأطفال الذين يعيشون في المناطق الآمنة والتي تستقبل المهجّرين والنازحين من المناطق الحارّة» فتخرج حينها من نطاق الأهل والمدرسة، لتدخل ضمن اهتمام وعلاج متخصّصين من شأنهم فهم حقيقة التجارب التي مرّ بها الأطفال، وشعورهم الحقيقيّ تجاهها ليتمكّنوا من التدخّل الفعّال لحمايته.

لماذا الأطفال خاصّة؟

لعدّة أسباب أهمّها: عدم امتلاكهم القدرات الذهنيّة الكافية التي تسمح لهم باستيعاب الخبرات الصادمة والتي يفشل الراشد غالباً في استيعابها، يضاف إلى ذلك عدم قدرتهم على التعبير الكلاميّ عن معاناتهم كما يعبّر من هو أكبر منهم، فيصاب الأطفال بتلك الاضطرابات المختلفة في المشاعر والسلوك، نتيجة:

- التهجير: يُحِدثُ التهجيرُ الذي يتعرّض له الأطفال في بعض المناطق السوريّة أو أغلبها سواء أكان مؤقّتاً أم طويلاً، داخليّاً أم خارجيّاً، تغيّرات سلبيّة في نمط حياة العائلة بشكل عامّ والأطفال خاصّة، فانتقالهم من أجواء ألفوها إلى بيئة جديدةٍ وغريبة عن عاداتهم وثقافتهم يشكّل عبئاً عليهم، فيصبحون عرضة لمخاطر ومشكلات تبدأ بسوء التكيّف مع البيئات الجديدة والتي انتقلوا إليها قسراً تحت وطأة الرعب وصولاً لمشاعر الحنين إلى الأماكن التي نزحوا منها وتتمازج تلك مع مشاعر الخيبة والضياع والإحساس بالعجز والقهر وقد يتوّج بالاكتئاب الحادّ.

- إنّ مشاركةَ الآباءِ والأخوةِ في القتال المسلّح لأيّ طرف من الأطراف يشكّل صعوبات إضافيّة على الأطفال، فهم يخافون على سلامتهم من ناحية ويفتقدون لدعمهم من ناحية ثانية، وبالتالي تُفتَقد مشاعر الحبّ والأمان والحماية.

- لا يتوقّف الأمر هنا فقد يكونُ الأطفال ضحايا العنف «كالخطف والتعذيب» وأحياناً أخرى «المشاركة في أعمالِ القتال» فهاهو الطفل «خضر» الذي ترك مدرسته لينضمّ للقتال مع اللجان التابعة للنظام و «محمّد» الذي سارع بالانضمام إلى الكتائب التابعة للمعارضة المسلّحة رغم صغر سنّهما وقلّة خبرتهما، وفي الحالتين يتلقّى الأطفال هنا تربية عنيفة تزرعُ في أنفسهم مشاعر يسودها الحقد والانتقام والعدائيّة وقد يتعرّضوا لإصابات جسدية مختلفة تترك أثرها العميق.

- عندما نفهم نوعية الأحداث التي يتعرّض لها الأطفال السوريّون يمكننا فهم ردود الفعل الناجمة عن الأزمة التي يعيشونها «فقد لا يكون الخوف والقلق الذي يشعر به الطفل ناتجاً عن انفصاله الإجباريّ عن عائلته، بل القلق من مصير والده الذي ذهب ليشارك في القتال».

- يتعرّض الأطفال لفقدان أشخاص من أفراد أسرتهم أو عائلتهم الممتدّة فيسبب لهم هذا الفقدان ضغطاً نفسيّاً كبيراً قد يصل إلى الاكتئاب في بعض الأحيان، حيث يشعر الطفل بالهزيمة أمام الظروف الصعبة والمؤلمة، ففقدان الأحبّة وعدم القدرة على الثأر أو التنفيس، إضافة إلى الحقد تجاه من سبّب المعاناة يؤدّي إلى هبوط المعنويّات والميل إلى الانطواء والعزلة، وقد يرافقه شعوره بالذنب شعوره بالعجز، وشعوره باليأس في أغلب الأحيان.

إذاً، يمرُّ الطفل في ظلّ الأزمة السوريّة بتجارب صعبة يحاول نسيانها أو تناسيها وقد نعتقد أنّه تجاوزها لكن سنكتشف مع مرور الوقت أنّه مازال يعيشها وأثّرت في نفسيّته وحياته ونموّه.

من هنا، تصبح صحّة الطفل النفسيّة خاصّة عرضة للكثير من الاضطرابات، وتظهر هذه الاضطرابات من خلال المشاعر التي يعبّر من خلالها الطفل «أيّاً كانت نوعيّة هذه المشاعر» أو يكتمها ويكتفي بالصمت -لكن صمت الطفل لا يعني مطلقاً أنّه لم يتأثّر – أو قد تظهر تلك الاضطرابات في سلوكيّاته والتي تكشف عن المشاعر الخفيّة المتزاحمة في قلبه الأبيض.

إنَّ التعامل مع الأطفال المتضرّرين من الحرب التي تعيشها سورية اليوم يشكلُ تحدياً كبيراً، وذلك بسبب قدرة الأطفال الضئيلة على التعبير عن آلامهم، ولأنّ تعاملنا معهم في هذه الحالات ليس مجرّد تلبية لاحتياجاتهم الأساسيّة في الطعام والشراب والسكن، فهناك احتياجات أخرى لا تقلّ أهمّيّة عنها من الأمان والحماية والانتماء والتقدير والانخراط الاجتماعيّ ولن يكون تطوّر الطفل شاملاً ومتكاملاً بدونها. لكن، وللأسف الشديد، يفتقر مجتمعنا إلى المعرفة العلميّة في المواضيع النفسيّة والتدرّب على الآليّات النفسيّة لإعادة تأهيل النفس والفكر في مواجهة ما يحدث، فمن بالغ الأهمّيّة نشر الثقافة النفسيّة كجزء لا يتجزّأ من ثقافة المجتمع السوريّ داخل سورية وخارجها.

وإنّ ما يفتقده أطفال سورية هي المؤسّسات الخدميّة النفسيّة الاحترافيّة ذات المرجعيّة العلميّة والخبرة العمليّة؛ فعلى الرغم من استنفار منظّمات الطفولة ومجموعات كثيرة للعمل في الدعم النفسيّ، إلّا أنّها مازالت جهوداً فرديّة على المستوى العلميّ والعمليّ، في مقابل الاحتياجات الضخمة التي يحتاجها عدد كبير من الأطفال السوريّين، والأهمّ أنّها تحتاج إلى تطوير تنظيمي بحيث تشمل جميع الأطفال المهجّرين داخل سورية وخارجها، بالإضافة إلى التزام منهج علميّ مضبوط في تقديم الدعم النفسيّ الصحيح بطريقة دقيقة، ومتابعة تقييم الحالات وتوثيقها بالتقارير، حتّى الوصول إلى مرحلة الشفاء الكامل.

أطفالنا في سورية، بأمسّ الحاجة إلى الدعم لاحتواء الصدمات وتقليل الآثار السلبيّة الناجمة عمّا يتعرّضون له أثناء النزاع المسلّح الذي تشهده سورية، بأمسّ الحاجة إلى الدعم لتخطّي الأزمات القاسية والعصيبة عليهم، بأمسّ الحاجة إلى دعمٍ يشعرهم بكينونتهم، بأنّهم ذوو قيمة، بأنّهم أصحاب قدرات إيجابيّة، وهذا يحمّل التربية عموماً مسؤوليّة الأطفال، فهي تحميهم جسديّاً ونفسيّاً وفكريّاً من خلال توفير مساحة آمنة تساعدهم على امتصاص الصدمات واكتساب المهارات الضروريّة للتكيّف والتأقلم مع الظروف الصادمة ومواجهتها، والأهمّ من هذا وذلك، النظر إلى المستقبل بعين التفاؤل والأمل بغدٍ مشرقٍ جميل.

وردة مصطفى

السُلطة: بين الضرورة والحاجة الاجتماعيّة

كلنا المشكلة الأساسيّة في السلطة هي الاعتراف بما تقوم به من حقّ وواجب عند طرفيها.

تعدّ مشكلة السلطة واحدة من أكبر المشكلات الفلسفيّة - المعرفيّة التي لطالما دار الكثير من النقاش والجدال حول طبيعتها وماهيّتها والأشكال التي تتمظهر بها، من هنا يبدو مهمّا البحث عن الصورة الواقعيّة للكيفيّة التي تتمّ بها ممارسة السلطة لنكشف عن أدواتها وسبل تعزيز تلك الأدوات ودعمها وكيفيّة مقاومتها، ومن ثمّ يصبح سؤال ما السلطة أو ما مصدرها أو أصلها؟ وكأنّه ليس في محلّه بل ينبغي بالأحرى أن نبحث عن الكيفيّة التي تتحقّق بها، أو كيف تمارس نفسها وتظهر إلى الفعل.

وباعتبار السلطة واقعة اجتماعيّة سياسيّة تتطوّر باستمرار وتتّخذ أشكالاً مختلفة، اختلف الباحثون في تحديد المفهوم وتعريفه فـ «جيرهارد ليبهولتر» يرى «أنّها القدرة على فرض الإرادة بطريقة مباشرة وغير مباشرة على كائنات بشريّة» بمعنى أنّها تقوم على نوع من القسر على الإرادة البشريّة يتجلّى من خلال تنظيم البيئة الاجتماعيّة بما يتضمّنه من حقوق وما عليها من واجبات، وهذا التنظيم للبنية الاجتماعيّة لا يتمّ دون وجود قوّة أو سلطة آمرة تقوم بتحديد الأهداف العامّة والخاصّة التي يصبو إليها المجتمع والفرد.

فالمشكلة الأساسيّة في السلطة هي الاعتراف بما تقوم به من حقّ وواجب عند طرفيها، فإذا كان الاعتراف متبادلاً وتامّاً استقامت السلطة كعلاقة أمريّة مشروعة، وبهذا يقترب «ناصيف نصّار» من رأي «ليبهولتر» في الإقرار بأنّ دور السلطة يتمثّل في قدرتها على إصدار الأوامر وعلى إخضاع الآخرين لها، فمنشأ السلطة ضروريّ ضرورة المجتمع الإنسانيّ نفسه، باعتبارها تشكّل نقطة الارتكاز الأساسيّة في تنظيم المجتمع الأوّليّ للإنسان وصولاً إلى مفهوم الدولة.

والدولة ككيان ثقافيّ هي حصيلة الثقافة الاجتماعيّة وهي مرتبطة بالتطوّر الاجتماعي العامّ، وهي لذلك تندمج كضرورة سياسيّة بالمجتمع، وهذا التماثل أو الاندماج يبدأ بالانفصال مع ارتقاء المجتمع المتناسب مع تبلور سلطة الدولة ونظامها، فلا مجتمع بدون سلطة. ومن هنا، تصبح السلطة مظهراً من مظاهر الاجتماع البشريّ.

ويقارب تعريف «برتراند رسل» للسلطة (كونها إحداث تأثير مقصود) التعريفات السابقة من حيث فاعليّة السلطة وقدرتها على ضبط أفراد المجتمع كلّهم.

لكنّ السلطة ليست مجرّد فرض الأمر السياسيّ على جماعة ما ومحاولة تنظيمها، بل هي أيضاً مفهوم أخلاقيّ يشير إلى النفوذ المعترف به كليّاً لفرد أو لنسق من وجهات النظر أو لتنظيم مستمَدّ من خصائص معيّنة أو خدمات معيّنة، بحيث يضع هنا للسلطة إطاراً تنظيميّاً اجتماعيّاً أخلاقيّاً يحدّد طبيعتها ووظائفها.

وبالرغم من تعدّد أشكال السلطة الاجتماعيّة إلّا أنّ السلطة السياسيّة تتميّز عن الأشكال الأخرى بسبب الوظيفة التي تؤدّيها في تنظيم النشاطات المترابطة فيما بينها، إذ ممّا لا شكّ فيه أنّ الطبيعة البشريّة والسلطة متلازمان، فلا وجود لمجتمع إنسانيّ دون سلطة، والسلطة بالمقابل - في طبيعة وجودها - سابقة على وجود الدولة باعتبارها قوّة إرادة لحكم جماعة من الناس، بحيث تستحيل هذه القوّة إلى سلطة وإرادة وتُخضِع الآخرين بموجب قانون تضعه بنفسها ويحوز على رضى المحكومين، وهذه القوّة توجد أينما يخضع الفرد لأهداف الآخرين ليس برغبته وإرادته فقط، بل بشعور من الحضور الأخلاقيّ والاجتماعيّ، إذ يميل «سالم القمودي» إلى أنّ كلّ سلطة تقوم على أساس نفسيّ وفلسفيّ يحدّد اتجاهها السياسيّ والنظام الذي تنشئه أو تنتمي إليه، ونوع السلطة التي تمارسه وكيفيّة هذه الممارسة وأدواتها التنفيذيّة لتحقيق هذه الكيفيّة، وهو ما تعلن السلطة عن بعضه بعد ذلك.

إذن، هذا الأساس النفسيّ والفلسفيّ للسلطة يشكّل البنية الأساسيّة لها لأنّه يستند بدوره إلى الوعي التاريخيّ (السياسيّ، الثقافيّ، الاجتماعيّ) لمفهوم السلطة وهو يشكّل الوجه الخفيّ للسلطة، فالشخص المسؤول بعبارته (هذا ما سنفعله) إنّما ينطلق من إحساس بالتحرّك الذاتيّ ومن الشعور بممارسة السلطة، فما تريده السلطة يصبح بمعنى ما تريده ذواتنا، ولذلك كلّ سلطة تتأرجح بين ما تعلنه وما تخفيه بين الإيديولوجيا وهي الوجه المعلن للسلطة، وبين السيكولوجيا وهي الوجه الخفيّ للسلطة، فهي رسميّاً مع الإيديولوجيا ونفسيّاً هي مع الأنا – السلطة، التي تخترق الإيديولوجيا متى رأت أنّ ذلك من مصلحتها وأنّه يحقّق أهدافها كسلطة، وهو ما يفسّر الطابع الزئبقيّ للسلطة وقدرتها على التعبير عن نفسها باستخدام مجموعة إيديولوجيّات قد تكون متناقضة بعضها مع بعض.

أمّا «حنّا أرندت» فتربط بين السلطة ووجود الجماعة، إذ تعرّف السلطة.

عبدو نبي

عندما يكون الحنين مرضاً

الحنين إلى الماضي سمة ملازمة للشخصيّة الإنسانيّة تبدأ بواكيرها منذ الطفولة وتنمو مع نموّ الإنسان وتقدّمه في السنّ، وتُعتبر سمة إنسانيّة سليمة في كثير من الأحايين و لها دوراً إيجابيّاً على الصحّة النفسيّة، فهي غالباً ما تكون محطّات هدوء وراحة، يتمّ من خلالها استعادة الماضي بأفراحه وأتراحه واستخلاص النتائج والعبر لتكون دروساً يُستفاد منها حاضراً ومستقبلاً، هذا في حال تدرّجت صيرورة نموّ وارتقاء الشخصيّة الإنسانيّة بشكلها الطبيعيّ في سياق تعايشه ضمن نسق اجتماعيّ وثقافيّ محكوماً في الزمان والمكان، ولكن عندما تتعرّض هذه الصيرورة لمتغيرات فجائيّة وعنيفة سواء في الذات أو في الموضوع للحدّ الذي تعجز فيه ملكاته النفسيّة والعقليّة عن إدراكها، ومن ثمّ استيعابها واحتوائها بغاية الانسجام والتلاؤم والسير إلى الأمام تماشياً مع قانون التطوّر الطبيعيّ في البحث عن الأفضل، أمام هذا العجز تعمد الشخصيّة لخلق آليّات دفاعيّة، أهمّها الارتداد إلى الخلف نكوصاً، ويتجلّى ذلك في الحنين إلى الماضي في محاولة للهروب من حاضر مجهد ويغدو الماضي هو المحور والمركز، ويكون الحنين قد نحا منحىً مرضيّاً يشلّ الحاضر ويرتحل بصاحبه للعيش على وفي ذكريات الماضي متوهّماً أنّه كان وما زال فاعلاً، وغالباً ما يتمّ استدعاء التجارب المشرقة من الماضي، والتي يُراد من خلالها التأكيد على الأنا وتضخيم ماضيها في محاولة لاشعوريّة أساسها وأُسّها المحافظة على وجوده وفاعليته على الصعيد الإنسانيّ، وفي أشدّ الحالات ينسلخ عن حاضره ويهلوس بأوهام من الماضي قد لا يكون لها أساسها الواقعيّ أو يُضفي على أحداثها ومجرياتها هالة من التضخّم ويغدو كائناً ماضويّاً، وبالرجوع إلى ما يقرّره بعض علماء الاجتماع والفلاسفة بأنّ حياة الأمم لا تختلف كثيراً عن حياة أفرادها، فإنّ أيّ تجمّع بشريّ ونتيجة لبنيته الداخليّة المتمثّلة في نسق ثقافته وتراكماته المعرفيّة على كافة الصُعد الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة، وكذلك نتيجة لعوامل خارجيّة أهمّها التجمّعات البشريّة المتمايزة عنه - إنْ قليلاً أو كثيراً - من الناحية الثقافيّة، وعلى تماسّ مباشر أو غير مباشر معه، بعد أن غدا العالم قرية صغيرة بفضل التطوّر على كافة الصُعد، وخاصّة التكنولوجيّة التي جعلت من العالم قرية صغيرة، وعليه فإنّ أيّ تجمّع بشريّ يعجز عن مواكبة هذا التطوّر الإنسانيّ والأدواتيّ لاعتبارات ذاتية تتمثّل بهيمنة قوى التخلّف والاستبداد على مقدّراته، وأخرى موضوعيّة بسبب تعارض إرادته ومصالحه مع مصالح المحيط، ويغدو حاضره مترعاً بالشقاء والبؤس وطريق مستقبله على أكفّ طغاته، ما يحتّم عليه وبالضرورة العودة نكوصاً إلى الخلف إلى الماضي فيحنّ إلى أيّامه الخوالي وأمجاده البائدة مستعيداً أمجاد أسلافه ومزهوّاً بنشوتها، وفي أغلب الأحيان ضارباً بنواميس الطبيعة، متوهّماً ومهلوساً أنّه يمكن أن يغتال الحاضر ويؤبّنه حاملاً نعشه إلى حدائق ماضيه لينبش قبور سلفه ويئده هناك، ومن ثمّ يجمع عظامهم النخرة في كيسه ويحملها على صهوة حصانه، قارعاً طبول فرحته في مهرجان ينصّب فيه ماضيه أميراً على حاضره، ضارباً بعرض ألف حائط حقائق كلّ العلوم ومغمضاً بصره وبصيرته عن مؤكّدةٍ مفادها: أنّه للحصول على ذات النتائج من ذات التجربة لابدّ من توافر نفس الشروط؛ ولمّا كان ذلك مستحيلاً، يبقى هذا الفكر محكوماً إمّا بتجديد ذاته من داخله مستعيناً ومنفتحاً على كلّ تجارب الماحوله، أو هو مهدّد بالانقراض والفناء، ولكنّه لن يستسلم لقدر فنائه بسهولة، وسيسعى ما بوسعه مجرّباً كلّ الممكنات، بما فيها العنف قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

سمير العليّ

الحروب المسيحيّة باسم الربّ

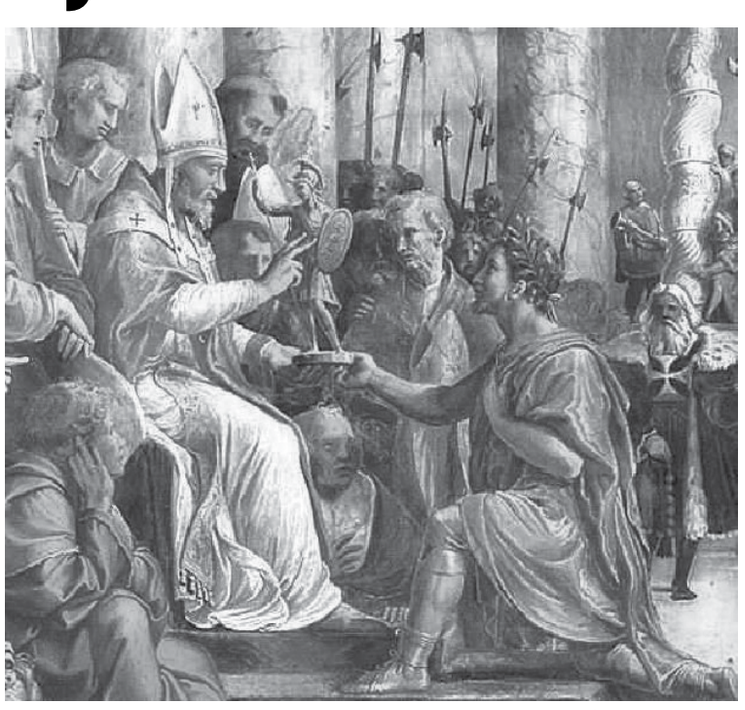

بعد تناول الحروب الدمويّة التي خاضها اليهود باسم ربّ يهوه بشكل مختصر، سأتناول الحروب التي خاضها المسيحيّون باسم الربّ كذلك.

ظلّت مصر في الفترة التي ما بين سنة (٣١ ق. م) وسنة (٣٩٥ م) تابعه للدولة الرومانيّة، ومع بدء اعتبار الدين المسيحيّ كدين رسميّ للدولة، أمر أسقف الاسكندريّة تيوفيل بهدم معابد الوثنيّين، فتمّ هدم بعضها، وتحويل بعضها الآخر إلى كنائس، والسخرية العلنيّة من معتقداتهم وتماثيلهم، الأمر الذي أثار غيظ الوثنيّين الإسكندريّين، ممّا دفعهم إلى قتال المسيحيّين فاستمرّت معركة دمويّة طويلة ما بين الوثنيّين والمسيحيّين انتهت بهزيمة الوثنيّين.

ولكن الحادثة الأبشع والأكثر انتشاراً عن تلك الحقبة، هي مقتل العالمة والفيلسوفة هيباتيا، فبعد هزيمة الوثنيّين عام ٣٩١م، بقيت بقايا الوثنيّين في الإسكندريّة في حالة مقاومة ومحاولة لنشر العلوم، حيث كانت قد انتشرت المدارس التي تتّسم بروح المسيحيّة كليّاً فقط، كانت هيباتيا عالمة رياضيّات وفلك، وكانت تقيم ندوات ومحاضرات في المدينة بشكل منتظم، وكان عدد متابعيها يزداد بصورة لافتة، ممّا أثار الخوف المسيحيّ من تأثير العالمة الوثنيّة، فكان مقتلها مشهداً مروّعاً في المدينة والتاريخ، فقد قُتلت على يد جموع من الغوغاء المسيحيّين التي تتبعتها عقب رجوعها لبيتها بعد إحدى ندواتها، حيث قاموا بجرّها من شعرها، ثمّ قاموا بنزع ملابسها وجرّها عارية تماماً بحبل ملفوف على يدها في شوارع الإسكندريّة حتّى انسلخ جلدها، ثمّ إمعاناً في تعذيبها، قاموا بسلخ الباقي من جلدها بالأصداف إلى أن صارت جثّة هامدة، ثمّ ألقوها فوق كومة من الأخشاب وأشعلوا بها النيران.

ثمّ كانت الحملات الصليبيّة التي قسّمت إلى تسع حملات، الحملة الصليبيّة الأولى ١٠٩٦-١٠٩٩م لاسترجاع القدس والأراضي المقدّسة من سيطرة المسلمين، الحملة الصليبيّة الثانية ١١٤٥-١١٤٨م التي هُزم فيها المسيحيّون فاسترجع المسلمون القدس، فكانت الحملة الصليبيّة الثالثة ١١٨٩-١١٩٢م لإعادة السيطرة على القدس التي كان صلاح الدين الأيوبيّ قد سيطر عليها عام ١١٨٧م، فنجحوا في استرجاع عكّا وفشلوا في استرجاع القدس، أمّا الحملة الصليبيّة الرابعة ١٢٠١-١٢٠٤م، كان هدفها الأوّل احتلال القدس عن طريق غزو مصر، ولكن بدلاً عن هذا في نيسان ١٢٠٤ احتلّ مسيحيو أوروبا مدينة القسطنطينيّة اليونانيّة الأرثوذكسيّة عندئذ وعاصمة الإمبراطوريّة البيزنطيّة، أمّا الحملة الصليبيّة الخامسة ١٢١٣-١٢٢١م، فكانت محاولة من أوروبا الكاثوليكيّة لإعادة السيطرة على القدس وبقيّة الأراضي المقدّسة عبر السيطرة على الدولة الأيّوبيّة في مصر، لكنّها باءت بالفشل، وهكذا حتّى الحملة الصليبيّة التاسعة ١٢٧١-١٢٧٢م التي انهزمت على يد الظاهر بيبرس.

وحين ذكر الحروب التي خاضها المسيحيّون بغية نشر الدين المسيحيّ، لا يمكن نسيان محاكم التفتيش ذائعة الصيت، تأسّست محاكم التفتيش عام ١٤٧٨، وفي القرن السادس عشر أصبحت إسبانيا أكبر قوّة كاثوليكيّة في العالم آنذاك، وتمّ إجبار كلّ المسلمين في قشتالة على التنصّر في عام ١٥٠٢، ثمّ تمّ إجبار المسلمين في أراغون على التنصّر عام ١٥٢٦. وكانت إسبانيا نموذجاً لدولة دينيّة سلطويّة، فتتحكّم وتعين الكنيسة فيها الملوك والأباطرة الذين يحكمون بحاكميه تسمّى ظلّ الله في الأرض أو قانون الحقّ الإلهيّ وللقضاء على ما سمّوه وقتها بالفساد، فقد قامت بتأسيس محاكم التفتيش واستهدفت من تمّ إجبارهم على التنصّر من المسلمين واليهود، ثمّ استهدفت المعتقدات المسيحيّة الأخرى وخاصّة البروتستانتيّة.

مورست في هذه المحاكم معظم أنواع التعذيب المعروفة في العصور الوسطى، وأزهقت آلاف الأرواح تحت وطأة التعذيب، ويُعتقد أنّ عدد القتلى قد يصل إلى ١٣ ألفاً، ومن أنواع التعذيب: إملاء البطن بالماء حتّى الاختناق، وسحق العظام بآلات ضاغطة، وربط يدي المتّهم وراء ظهره، وربطه بحبل حول راحتيه وبطنه ورفعه وخفضه معلّقاً سواء بمفرده أو مع أثقال تُربط به، والأسياخ المحميّة على النار، وتمزيق الأرجل، وفسخ الفكّ، وكثيراً ما كانت تُصدر أحكاماً بالإعدام حرقاً، وكانت احتفالات الحرق جماعيّة، تبلغ في بعض الأحيان عشرات الأفراد، وكان لهم توابيت مغلقة، فيها مسامير حديديّة ضخمة تنغرس في جسم المعذّب تدريجيّاً، وأحواض يقيّد فيها الرجل ثمّ يسقط عليه الماء قطرة قطرة حتّى يمتلئ الحوض ويموت، كانوا أيضاً يقومون بدفنهم أحياء، ويجلدونهم بسياط من حديد شائك، وكانوا يقطعون اللسان بآلات خاصّة وكان دستور محاكم التفتيش يجيز محاكمة الموتى والغائبين وتصدر الأحكام بحقّهم كالأحياء، فتُصادر أموالهم وتُنبش قبورهم، كما يتمّ حرمان أقاربهم من تولّي الوظائف العامّة وامتهان بعض المهن الخاصّة.

وبلمحة سريعة عن تاريخ ومسار انتشار الديانة المسيحيّة، لا يمكن لنا إلّا أن نسمّيها بالإرهاب بحسب التعريف الدوليّ اليوم للإرهاب عموماً والإرهاب الدينيّ بشكل خاصّ.

لينا الحكيم

المرأة والفردوس (مدخل إلى لوحات بعض فنّاني مدينة حماه)

يبدو الأمر غريباً بعض الشيء؛

هل هناك ملامح خاصّة للوحة حمَويّة، ماهي عناصرها؟

وهل تقتصر على عناصر شكليّة أم أنّ هناك تشابه في الموضوع وتقارب بالخطاب البصريّ؟

مرّت اللوحة الحمَويّة بثلاث مراحل متتالية مترابطة فيما بينها كان المكان هو العنصر الأهمّ والرئيس فيها:

المرحلة الأولى من الفنّ الشعبيّ إلى مرحلة الروّاد والتأسيس

بدأت هذه المرحلة بتصوير المكان كواقع جمالي معاش، يقول الفنّان سهيل الأحدب وهو من الفنّانين الروّاد في المدينة (كان من المألوف في مدينة حماه أنّ تزيَّن جدران البيوت والفنادق والحمّامات والمقاهي وواجهات المحلّات التجاريّة بلوحات تمثّل مناظر من مدينة أبي الفداء كالعاصي والجسور والنواعير والبساتين والمساجد) إنّ الطبيعة الخاصّة للمدينة جعلت منها مادّة للتصوير وألهمت نواعيرها واختراق نهر العاصي لها، إضافة إلى أحياءها القديمة لوحات رسّاميها.

إذ امتاز المكان في اللوحة الحمويّة في مراحله الأولى بواقعيّة تسجيليّة، وكانت أحدث المعالجات الشكليّة لهذا المكان هي المعالجة الانطباعيّة التي أدخلها الروّاد على اللوحة الشعبيّة التي كانت سائدة آنذاك.

فكيف تحوّل المكان بواقعيّته إلى فردوس؟ وماهي العناصر الشكليّة التي أُدخلت على المكان لتعطيه طابعاً فردوسيّاً؟

المرحلة الثانية من الروّاد والتأسيس إلى الحداثة

إنّ أهمّ ما انتزعته الحداثة من اللوحة المسنديّة، هو البعد الثالث مثيرة بذلك حفيظة المتلقّي مستفزّة خيال الفنّان وأدواته لإيجاد بدائل بصريّة باحثاً عن أبعاد أخرى تستطيع حمل الموضوع وتقديمه بصورة قادرة على إقامة التفاعل المطلوب. هذا ما وضع بعض المصوّرين الذين اعتمدوا في غالبيّة مواضيعهم على تصوير المكان (الطبيعة- العمارة) أمام تحدي الحداثة وأدّى تزامن دخول الحداثة مع ظهور التيّارات القوميّة وسؤال الهويّة إلى دفع البعض بالبحث في الثقافة البصريّة المحلّيّة والمشرقيّة بوجه عام، فمن لوحات الواسطيّ إلى الرقش والمنمنمات كانت بداية البحث الشكليّ عن حلول بصريّة تشكّل بدائل مقبولة للبعد الثالث فأخذت التشكيلات الخطّية بالظهور الخجول وغدا الخطّ المنحني بإيقاعاته طاغياً على باقي الخطوط وتشظّت المساحات اللونيّة إلى مجموعة من التفاصيل وحضرت الزخرفة النباتيّة ببعد تصويريّ كبديل عن الطبيعة، لكنّ موارد البحث حكمت المفهوم وأعادت انتاج المكان بوصفه فردوساً متخيّلاً، لكنّ ثلاثيّة (المكان – الفردوس - المقدّس) لم تستطع تقديم عمل فنّيّ كامل يحقّق مردوداً جماليّاً وتواصليّاً، ممّا دفع ببعض فنّانيّ المدينة إلى استحضار الأنثى إلى اللوحة، وهنا، ساهمت لوحات الفنّان نذير نبعة المستلهَمة من فنّ المنمنمات بطرح الحلول البصريّة وتقديم ثنائيّة المرأة - الفردوس لبعض فنّاني مدينة حماه.

المرحلة الثالثة من الحداثة إلى المحلّيّة

أخذت المرأة طريقها إلى لوحة بعض فنّاني حماه محافِظة على القيم الجماليّة المتوارثة والسائدة عن المرأة، فمن العنق الطويل إلى العيون الواسعة والفم الصغير، لم تتفلّت اللوحة كليّاً من سلطة المتلقّي وغرقت في بعض التجارب بهاجس الاستحسان والقبول لا بهاجس الصدقيّة والجديد.

وإذا ما رجعنا إلى أولى هذه التجارب نجد البداية في العديد من أعمال الفنّان زهير حضرموت والتي حملت ملامح لوحة حمويّة ذات خصوصيّة استمرّت وتطوّرت في العديد من التجارب التي أتت إلى المدينة أو غادرتها لتضيف عليها وتؤكّدها وتغنيها، امتازت المرأة في لوحات بعض فنّاني حماه بأنّها عنصر مكانيّ، وأخذت الطابع الفردوسيّ من المكان، فهي

الحوريّة المتخيّلة، ولا تتجاوز علاقتها بالواقع حدود الارتباط الشكليّ، إنّها حوّاء قبل الهبوط، الصورة المثال للمرأة في الذهن الجمعيّ، كما عبّر عنها النصّ والموروث فهي المرأة التي رسمتها الأغاني الشعبيّة شكلاً وأعطاها النصّ بُعدها المتخيّل لتتأرجح بين الرغبة والمقدّس، إنّنا أمام ثنائيّة (المقدّس -المرغوب).

إذا من هذه الرباعيّة (المكان-الفردوس، والمقدّس-المرغوب) نستطيع أن نتلمّس خصوصيّة ما، ونرصد تطوّرات هذا المفهوم في بعض لوحات فنّاني مدينة حماه من عدّة أجيال، سأحاول الوقوف على أهمّ تلك التجارب ودراستها ربّما في مرّات قادمة.

سهف عبد الرحمن

«نتلمّس الكلمات على الجدار»

كيف أصبحت البلاد لوحة في مزاد علنيّ والعيون أصابع مقطوعة

«في الجامع الأمويّ، في أيّ زمن تريد، قل لي من قتلك أقلْ لك من أنت». بهذه البساطة التي لا يقوى عليها أحد يختصر الشاعر «حكمة شافي الأسعد» التاريخ ويجعله واضحاً لا لبس فيه ولا تورية. «نتلمّس الكلمات على الجدار» توثيق أدبيّ فريد ليوميّات الحرب يطالعنا في أولى مجموعات الشاعر النثريّة التي قام بنشرها إلكترونيّاً ولم يقم بطباعتها في كتاب. وبين انتصار الحرب على الإنسانيّة أحياناً وانتصار الحبّ عليها أحياناً أخرى تأخذنا القصائد في رحلة لا نعرف متى بدأت ولا يبدو لنا أنّها قد تنتهي. بين النزوح والموت وبين المدن المنكوبة وتلك التي تنتظر حصّتها من الخراب القادم يجول الشاعر بكلماته مقتحماً المقدّسات - أو ما كانت كذلك ذات يوم - ومعرّياً الإنسان والأرض والبلاد والحياة والأفكار دون أن يخجل من لعنة التراب أو لعنة أبنائه.

وبمسدسه المحشوّ بالسخرية يطلق حكمة الرصاص على الطغيان، لا السياسيّ فحسب، بل الإنسانيّ والوجوديّ. يتحدّث عن ذلك الكائن الذي يستطيع أن يجعل من كلّ شيء جميل كابوساً أسود ويبرع دائماً في قطع رؤوس الأحلام وتحويلها إلى نفايات لا مكان لها في عالمه الواسع الذي يُحكم قبضته على كلّ وردة فيه. نصوص ساحرة لم يضع الكاتب لها نهاية، تؤرّخ لحياة إنسانيّة حقيقيّة يعيشها السوريّون على أرض مزّقتها الحرب وجعلت منها شخصاً حقيقيّاً لا مجازاً يَقتُل ويُقتل ويحمل السلاح ويثأر وينقلب على عدوه تارة وعلى نفسه تارة أخرى، دون كذب أو تلفيق ودون أن يدّعي بحكمة الشاعر المعتادة أنّ كلّ شيء على ما يرام، أو أن ينهي المأساة بالأمل كما يفعل الكتّاب المحكومون بالخرافات والانتصارات والتفوّق على الواقعيّ. سبعة عشر نصاً قدّها الشاعر من لحم ودم ونفخ فيها روحه الهائمة من سماء إلى سماء ومن مدينة إلى مدينة تعدّ الموتى وتبكي عليهم. لا يكترث «حكمة» لأيّ ممّا هو خارج جدران النزوح الجماعيّ والنهايات المجانيّة؛ فالقضايا التي تعتبر كبرى تحتلّ في وعيه مكاناً ثانويّاً مقارنة بقضيّته الأهمّ وهي الإنسان. هذا الإنسان الذي تحوّل إلى ورقة نعوة فقدت حقّها حتّى في أن تسند ظهرها إلى جدار ما في حيّ ما لتثبت وجودها، أو في أن يسير الآخرون خلف جنازتها ويودّعونها قبل أن يسقطوا فوقها وتتشارك وجوههم رخامة واحدة. ولأنّ الحياة أصبحت تمشي برأس مقطوع تحوّل الجميع إلى قتلة أو مقتولين، والعذر في رأس الحياة الذي لم يعد يميّز.

«حين اشتقت إليك تنفّست هواءً نقيّاً وكأنّني لست في ثلاجة الموتى». بهذه الانسيابيّة يجمع الشاعر بين العام والذاتيّ فالعام أصبح ذاتيّاً بشكل أو بآخر والذاتيّ لم يعد شأناً خاصّاً بأحدنا دون غيره. هكذا أصبحت مشاعرنا مرتبطة بعدد الشهداء والضحايا من الأطفال وأنواع الأسلحة والطرقات التي نذرعها بحثاً عن بيت ما لنضع رحالنا فيه اليوم والأصدقاء البعيدين وهؤلاء الذين نريدهم بعيدين لأنّهم تغيّروا. وسط كلّ هذا يصبح الحبّ بوصلتنا الوحيدة ويصبح الوحيد الذي بإمكانه أن يمسك يدنا ويعبر بنا إلى ضفّة النجاة، لا من الموت فقط، بل من الضياع المتربّص بنا جميعاً.

وكأنّه ينجو بالكتابة من بئر العتمة يُعيد «حكمة» للشعر دوره الحقيقيّ الذي فقده منذ زمن طويل فيجعل منه رفيقاً حقيقيّاً للإنسان المنهك الذي يمكن للغة على الأقلّ أن تنصفه مادامت عاجزة عن جعل العالم يتحرّك من أجله. استطاع الشاعر أن يجعلنا نرى من خلال نصوصه ما لم تنقله الصورة الحيّة وعجزت كلّ نشرات الأخبار عن رصده. وبصور عميقة وبسيطة في آن رسم لنا البلاد التي يأكلها العالم ويلقي ببقاياها لأولادها الذين مازالوا ينتظرون بثيابهم البالية وأحلامهم المهترئة وأحذيتهم التي لم تعد تحتمل مزيداً من الرحيل، لكنّهم مصرّين على هزيمة الموت الذي يكبر داخلهم دون ربطات عنق ولقطات تذكاريّة مع المدن والقبور ودون ضجيج يظهرون من خلاله فرط انتمائهم. لغة غير عصيّة لكنّها ليست ممكنة أيضاً تجعل المشهد سيّد النص والمفردات بناته الجميلات اللواتي يؤدّين مهامّهن بمهارة فائقة.

«أيّتها البلاد التي لا تنتهي صفاتها

متى تعيدين لنا صفاتنا؟»

بقي أن ننوّه أنّ «حكمة شافي الأسعد» شاعر سوريّ حمصيّ بامتياز يحمل شهادة الدكتوراة في اللغة العربيّة وآدابها، له مجموعتان مطبوعتان: كهف الموتى وجمع تكسير الأصابع.

سُرى أحمد علّوش

في النشر والنشر المستقلّ

من هو الناشر المستقلّ؟

يحار الكثيرون أمام هذا التوصيف وليس فقط من العامّة وإنّما بين الناشرين العرب أنفسهم. لطالما سمعت هذا السؤال: ماذا يعني الناشر المستقلّ؟

في العودة إلى الرابطة العالميّة للناشرين المستقلّين Alliance International des Editeurs Independent وتوصيفها للناشر المستقلّ: هو الناشر الذي يختار منشوراته بنفسه وبدون أيّة ضغوط من أيّة جهة سياسيّة أو دينيّة أو أكاديمية. وهو أيضاً، الناشر الذي يموّل مشاريعه بنفسه وبدون أيّ خضوع لضغوط ماديّة تؤثّر على قراراته بما يختصّ باختياراته للعناوين التي يقوم بنشرها. لا يعني هذا بالطبع أنّه يترفّع عن الكسب المادّيّ بل أنّه يستخدم النموذج الاقتصاديّ المستقلّ بدون تنفيذ أيّة أجندة لأيّة جهة مقابل المال.

هو أيضاً، الناشر الذي يضع لنفسه معايير مهنيّة وأخلاقيّة ويطبّقها في ممارسته لمهنة النشر من احترام حقوق الترجمة والتأليف والرسوم والصور. كما أنّه يحافظ على مستوى معين فيما يقدّمه للجمهور، سواء أكان ذلك فيما يختصّ بالمحتوى نفسه أو بطريقة التقديم، من اختيار الورق والتصميم والإخراج والطباعة، وكلّ ما يتعلّق بأمور شكل الكتاب النهائيّ التي تدلّ على احترام القارئ.

هو، بالضرورة، يقف في وجه الاحتكارات الماليّة الكبيرة التي تحاول الهيمنة على قطاع النشر في العالم، وأن تحوّل الكتاب إلى تجارة رابحة نازعة عنه الهمّ الثقافيّ والالتزام الأخلاقيّ الذي يجب أن يميّز هذه «السلعة – المنتج» عن غيره في أسواق اليوم.

الناشر المستقلّ، يقف حتماً في وجه كلّ ما يعيق تقدّم الكتاب وتطوّره ووصوله إلى الشريحة الأكبر في المجتمعات. فهو هنا ضدّ كلّ أشكال الرقابة والضرائب المرتفعة المفروضة على تجارة الكتب وشحنها بين البلدان العربيّة.

سمر سمعان حدّاد

صاحبة «دار أطلس للنشر» التي أُسّست في خمسينيّات القرن الماضي في دمشق، وتنشر باللغة العربيّة كلّ أنواع الكتب المؤلّفة والمترجمة من مبدأ تعزيز التنوّع.

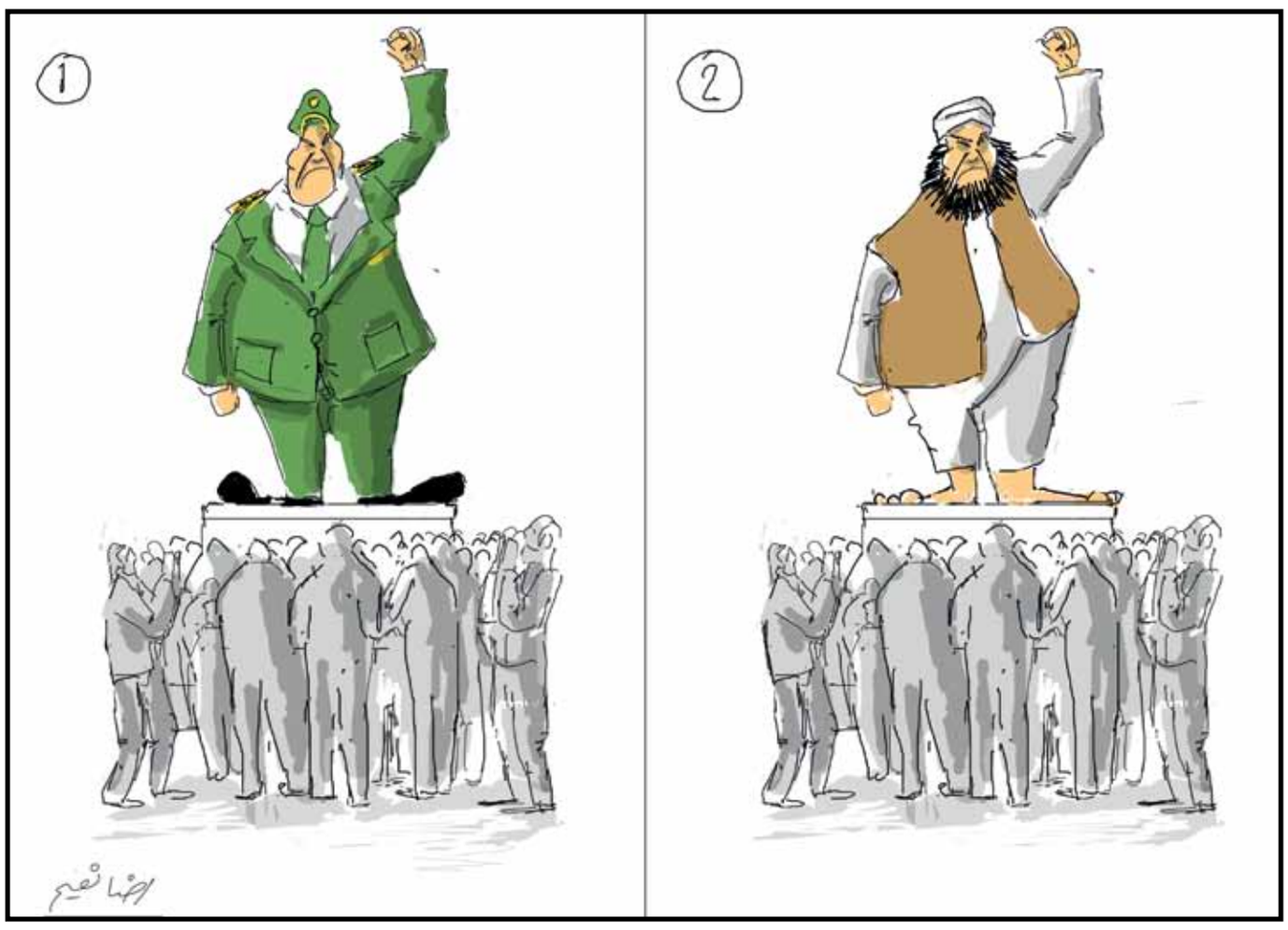

مقام القصب

لا خلافة في الدين*

علي عبد الرازق (١٨٨٨ – ١٩٦٦)

والحقّ أنّ الدين الإسلاميّ بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون، وبريء من كلّ ما هيّؤوا حولها من رغبة ورهبة، ومن عزّ وقوّة.

والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينيّة، كلّا ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة، وإنّما تلك كلّها خطط سياسيّة صرفة، لا شأن للدين بها، فهو لم يعرفها و لم ينكرها، ولا أمر بها و لا نهى عنها، و إنّما تركها لنا، لنرجع فيها إلى أحكام العقل، و تجارب الأمم، و قواعد السياسة.

كما أنّ تدبير الجيوش الإسلاميّة، وعمارة المدن والثغور، ونظام الدواوين لا شأن للدين بها، وإنّما يرجع الأمر فيها إلى العقل والتجريب، أو قواعد الحروب، أو هندسة المباني وآراء العارفين.

لا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى، في علوم الاجتماع والسياسة كلّها وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلّوا له واستكانوا إليه، أن يبنوا قواعد مُلكهم، ونظام حكومتهم، على أحدث ما أنتجت العقول البشريّة، وأمتن ما دلّت تجارب الأمم على أنّه خير أصول الحكم.

***صفحة ١٣٧ من كتاب «الإسلام وأصول الحكم» الصادر عن دار الكتاب المصريّ واللبنانيّ، مكتبة الإسكندريّة ٢٠١١**

طبع لأوّل مرّة ١٩٢٥

لكلّ مقام مقال

عن الجوع والحرمان في المعتقلات

في كثير من الأحيان تغدو تفاصيل الحياة التافهة التي نعيشها مأزقاً شعوريّاً يتضخّم بكلّ أشكال الانفعالات وتجلّياتها حين تكون محرّضاً لذكريات من عانى الحرمان منها، لتصبح جلّ آماله أن ينالها ولو بالحلم. ومن سيكون أكثر حرماناً من المعتقل الذي قد يخرج من قبره، فتجتاحه الدهشة في كلّ مرّة من كيفيّة تعاملنا مع الأمور البسيطة التي تواجهنا في الحياة وبقدرة تحكم الإنسان بغرائزه البشريّة وصبره على ترويضها؟! ذاك الصبر الذي أفتقده قسراً حين كان وراء القضبان، فيكفي إدراكنا أنّنا قد نمارس نوعاً من الحرمان الإراديّ لنصل إلى مبتغى ما، أمّا هو فمعنى الحرمان القسريّ الذي خاضه يقف بينه وبين استدراكه لاستيعابه السابق لمثل هذه الأمور ولاسيّما قبل اعتقاله، ممّا يضعنا بحيرة وخجل أمام عُري الروح الإنسانيّة المضطّهدة. فأن أُحدّث صديقتي المعتقلة السابقة عن الرجيم والجوع الإراديّ الذي أخوضه اليوم بحماس يشتهي فتنة الجمال وغوايته، فهذا كفيل بأن يثير في مخيّلتها فيضاً من الذكريات التي قد تظنّ أنّها تجاوزتها، غير أنّها تستكين في غياهب روحها، وتترقّب أيّ محرّضٍ يخرجها من قمقمها لتجتاح روح صديقتي بكلّ الانفعالات المتأزّمة التي كانت متوارية عن وعيها. ويكفيك أن تسمع ما سردت لي بعد ذلك الحديث عن الجوع الإراديّ لتدرك ما أعنيه عن الانفعالات المتوارية في خبايا روح المعتقلين؛ إذ تقول لي» أذكر أنّي في مرّة واحدة فقط هزمني الجوع، مرّة واحدة فقط تقمّصت جسدي روحُ طفلٍ لا يفقه كيف يقاوم الجوع فيستسلم للبكاء الكافر، في ليالي الصقيع في غرفة صغيرة لا تصلح لتكون حماماً فكيف بمهجع يضمّ أربعين امرأة يتكدّسن كجثث مجزرة الكيمياويّ فوق بعضهنّ، لكلّ واحدة منهنّ مساحة «بلاطتين ونصف» كنت أسهر مع معتقلة أخرى وثالثنا الحمراء الطويلة نتأمل صمت اللحوم المكدّسة التي أنهكتها القضبان والصقيع وكلّ أنواع الحرمان، في إحدى تلك الليالي نهضت إحدى السجينات المتّهمة بالتزوير والاختلاس ولها معارف من ذوات الرتب العالية الذين يهرّبون لها ما لذّ وطاب من الأطعمة المحرومين منها، لم أدرك أنّ الجوع ينهشني وأنّ البرغل لا يرمّم العظام الهشّة ولا يبعث الدفء ولا يرفع السكّر المتهاوي دائماً في دمي، حتّى أخرجتْ علبة « اللبنة والمكدوس» وبدأت تأكل وكأنّنا أصنام نقبع أمامها لا روح فينا، أذكر أنّي كدت أن أحرقها بعينيّ، أن أسرق اللقمة من بين شفتيها، أن أقتلع عينيها حين كانت تغمضهما من التلذّذ بطعم اللقمات الشهية ونشوتها، لم أشعر إلّا بطعم الملوحة يتسرّب من بين شفتي، وكاد صوت ضجيج معدة صديقتي الخاوية يعلو على أصوت فم السجينة المدلّلة جراء نفوذها في السجن وهي تلوك طعامها.. همست لي صديقتي «أطالع لك رغيف خبز معي؟» تجهّم وجهي كالأطفال وهمست من بين أسناني التي كادت أن تتهشّم من قهري الضاغط على فكّي» ما بدّي خبز معفّن بدّي أمّي» في اليوم التالي أمّي، والتي أكاد أقسم أنّها سمعت حديثي وشعرت بي، استطاعت أن ترسل لي حبّة شوكولا أخفتها بين الطيّات الداخليّة في سروال المنامة من أعين الحراس، حينها تقاسمتها مع صديقتي السجينة وغبنا في نشوة الحياة... حياة تقبع بكلّ شهواتها ولذّاتها خارج تلك القضبان. هل أكون مخطئة إذا قلت لك لا تحرمي نفسك من شيء يا عزيزتي فلا تعرفين متى يأسرك الحرمان القسريّ، الحرمان الذي ينال من روحك قبل جسدك؟ ربّما أكون مخطئة، فهناك في القبر لا يهمهم الجسد المتآكل من شتّى أنواع العذابات، ما يهمهم هو أن تخرجي من عندهم وتبقى روحك أسيرة الحرمان وتحت وطأة كلّ الانفعالات التي تهشّم إنسانيّتك وصبرك، فلا تقوى تلك الروح على معارضتهم من جديد. «

ميّ الفارس

ساهم، ولو بغطاء عبوة الماء

قام ناشطون سوريّون في عدّة مدن تركيّة (أنقرة، استانبول، غازي عينتاب، ..) بإطلاق «مبادرة حركة» اعتباراً من الخامس من تشرين الثاني الحالي، وتهدف هذه المبادرة إلى مساعدة شريحة المحتاجين إلى كراسي متحرّكة.

فقد صنّع شباب المبادرة يدويّاً صناديق كرتونيّة، لتُجمع فيها أغطية عبوات الماء البلاستيكيّة، ووزّعوا هذه الصناديق، خصوصاً في أماكن تواجد السوريّين.

وتمّ الاتّفاق مع جهات مانحة لاستبدال: كلّ ١٠٠٠ غطاء بلاستيكي بكرسيّ متحرّك كهربائيّ.

أداء بلغتين معا

اكتشف الدكتور هنري جيكل الجانب المظلم من الطبيعة البشريّة بتوصلّه إلى تركيبة كيميائيّة تحولّه إلى شخصيّة إدوارد هايد الشرّير.

هذا هو الحدث المفتاحيّ لمسرحيّة «الحالة الغريبة للدكتور جيكل ومستر هايد» التي تقدّم حاليّاً على مسرح (جون هافوك) في منهاتن، ويمثّل فيها: ممثلون صمّ بكم يتحدّثون بلغة الإشارة، وممثّلون ناطقون.

وقد صرّح جيه.دبليو جيدو الممثّل والمدير الفنّي لمسرح نيويورك للصمّ والبكم في مقابلة تمّت من خلال مترجم يستخدم لغة الإشارة «لكلّ دور لدينا اثنان.. ممثّل أصم أبكم يستخدم لغة الإشارة والآخر يسمع ويقرأ سطور دوره» وأضاف أنّ هذه المسرحيّة هي رابع إنتاج لهذا المسرح منذ تولّيه منصب المدير الفنّي قبل أربع سنوات.

وقريباً، ستحتفل فرقة مسرح نيويورك للصمّ والبكم بالعيد الـ ٣٥ لتأسيسها.

صدر حديثاً

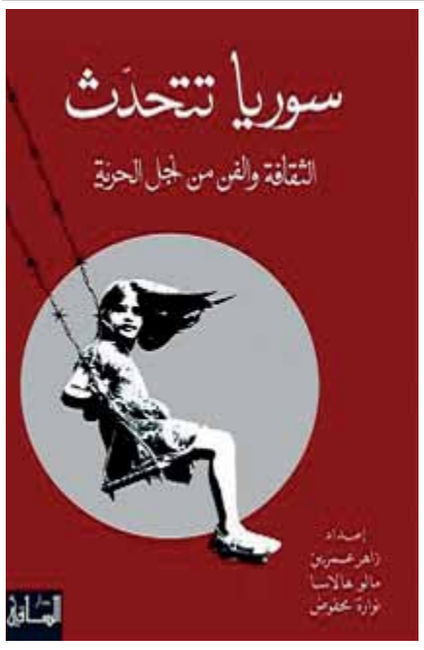

صدر حديثاً كتاب «سوريا تتحدّث» الكتاب أنطولوجيا عن الفن والأدب السوريّ منذ بدء الثورة، لثلاثة مؤلّفين هم: زاهر عمرين، مالو هالاسا، ونوّارة محفوظ، يحمل الكتاب عنواناً فرعيّاً «الثقافة والفنّ من أجل الحرّيّة» وهو من إصدار ٢٠١٤ دار الساقي. من الفنّانين والأدباء المعروفين الذين شاركت أعمالهم في هذا الكتاب: علي فرزات، سمر يزبك، وروبن ياسين قصّاب.

نكزة

أقبلت الاستغاثة ليلاً إلى دمشق النائمة
طفلةً مقطوعةَ الرأس واليدين،

وتراباً يحترق، وطيوراً تودّع أجنحتُها السماء والأشجار، غير أنّ أهل دمشق

كانوا نياماً، فلم يسمع الاستغاثة سوى تمثال من نحاس لرجل يشهر سيفاً، ويقف فوق قاعدة من حجرٍ مطلّاً شامخ الرأس على حديقة المبنى. واجتاحت الاستغاثة تمثال النحاس مريرةً ضارعة، ففقد صلابته شيئاً فشيئاً، ثمّ تحوّل إلى رجل يمشي ويتكلّم ويغضب ويصرخ...

زكريا تامر

سمعنا، شفنا.. وبدنا نحكي

سمعنا..

الائتلاف الوطنيّ لقوى المعارضة السوريّة بكلّ عدّته وعتاده شدّ الرحال إلى اسطنبول للاجتماع ومنح الثقة للحكومة العتيدة، تقاطر الائتلافيّون من كلّ بقاع المعمورة وحطّ بهم الرحال في فندق من فنادق اسطنبول العديّة. مرّ اليوم الأوّل والشباب مختلفون كيف يبدؤون؟ ومن أين يبدؤون؟ فالكتل القديمة انفرط عقدها، وكتل جديدة وُلـدت قبل الاجتماع، الشيخ طيفور ورهط من أخوته في قائمة واحدة مع ميشيل كيلو ورهط من رفاقه، جعلتنا جميعاً نتذكّر المثل الشعبيّ: «شو اللي لمّ الشامي ع المغربي»، ما تبقى من الكتلة الديمقراطيّة يجمع ما يمكن جمعه من مستقلّي الائتلاف ليصبح وازناً، كتلة الإخوان المسلمين شدّت عُرى التحالف مع كتلة المجالس المحلّيّة، والكلّ يتقاتل هل كتلة الأركان شرعيّة أم لا؟؟

شفنا..

ثلاثة أيّام بلياليها والدخان الأبيض لم يخرج من الفندق الاسطنبولي، قاعة الاجتماعات فارغة إلّا من كراسيها والطاولات، وحدها غرف الفندق تعجّ بالحركة وبناء التحالفات المرحلّيّة بين الكتل المختلفة، وكالعادة هي حركة بلا بركة، فقط مجموعة من ٤٢ عضواً توافقت أو اتّفقت على أن تقدّم معروضاً يشكّك بشرعيّة هذا اللقاء، ويعتبر حضور كتلة الأركان لا شرعيّاً ويعلنون بالتالي أن لا شرعيّة للقرارات التي ستنشأ عن هذا اللقاء، وكون الخلاف هو على كتلة العسكر كما في كلّ مـرّة، وكـون هناك من يعرف كيف تُؤكل كتف العسكر في كلّ مرّة، حسم العسكر وآكلي كتفهم الأمـر ودخلوا إلى الاجتماع وشعارهم الأوحد: «الاجتماع بمن حضر واللي ما عجبه ينطح راسو بشي حيط»

بدنا نحكي..

كلّنا نعرف أنّ الائتلاف يعتبر نفسه الممثّل الشرعيّ للثورة السوريّة، وأنّ أعضاءه مختارون بعناية ليمثّلوا القوى السياسيّة والعسكريّة والشعبيّة فيه، وغير بعيد عن اسطنبول كان يتجوّل «دي ميستورا» في غازي عينتاب ويلتقي مع من يلتقي، وقبلها كان في دمشق وحمص، يطرح مبادرته ويسوّق لها، وأصحابنا يتقاتلون حول وزارة لا حول لها ولا قوّة، وينسون أنّ هناك مبادرة ما تُطرح حول وطنهم سورية، العالم كلّه منشغل بها، بينما هم منشغلون بمسرحيّة حكومة خيال الظلّ التي بلا طعمة والتي يقودها بالبروتوكول أحمد طعمة بينما يمسك بالحبال غسّان هيتو، والإخراج مشترك قطريّ/ تركيّ/ إخوانيّ، مدير الإنتاج فيه مصطفى الصبّاغ.

هل يمكننا القول إنّ الائتلاف يعيش آخر أيّامه، وأنّه سقط سقطته الأخيرة، وأنّ اللعب صار (ع المكشوف)، والهمّ الوطنيّ آخر الهموم.

لا تستغربوا لو قرأتم ما يشبه هذا الكلام ونحن نحكي عن المؤتمر الثالث!!

المدير العام: توفيق دنيا
رئيس التحرير: بسّام يوسف
هيئة التحرير: حسين برو - بشّار فستق - غزوان قرنفل - ثائر موسى - عزّة البحرة
الاخراج الفني: منير الأيوبي
فريق العمل
سكرتاريا : نور العبدالله
التدقيق اللغوي : فلك الخالد
الموقع الإلكتروني : باسل العبدالله
الآراء الواردة في كلّنا سوريّون تعبّر عن رأي الكاتب و لا تعبّر بالضرورة عن رأي الصحيفة
newspaper@allsyrians.org
www.allsyrians.org